الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945– قالمة –
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

المشاريع الإصلاحية الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 19 م (مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م نموذجا)

إعداد الطالبتين:
– ملاوي نورة
– شكاطي بسمة

الأستاذ المشرف:
– بن شعبان السبتي

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد الكريم ق ري ن	أستاذ محاضر –ب–	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
السبتي بن شعبان	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
ياسر فركوس	أستاذة محاضر –ب–	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2019–2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان:

الحمد و الشكر لله رب العالمين أولا و قبل كل شيء، أما بعد:

يسعدني أن نتقدم في نهاية بحثنا هذا بتوجيه شكرنا و تقديرنا الكبيرين لأستاذنا بن شعبان السبتي الذي أشرف علينا و وجهنا بآرائه السديدة و القيمة و بتشجيعنا المستمر لنا، و هو ما شجعنا دون كلل أو ملل، منا كل الشكر و الامتنان.

كما نتوجه بشكر خاص لكل أساتذة قسم التاريخ بجامعة سويداني بوجمعة.

كما لا ننسى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

الإهداء:

أهدي ثمرة جهدي إلى أغلى و أعز الناس أمي و أبي.

أمي الغالية التي غمرتني بحبها و عطفها و حنانها و دعوتها و وقوفها بجانبي طوال هذا المشوار.

إلى أبي العزيز الذي رباني و أحاطني برعايته و حبه و دعواته

أدعو الله أن يحفظهما و يطيل في عمرهما اللذان سهرا و تعبا على تعليمي في إتمام دراستي و هذا العمل.

إلى أختي مروة التي كانت نبراسا يضيء فكري بالنصح و التوجيه و حفزتني للتقدم، و إلى أخي رابح وزوجته دنيا أهدي ثمرة جهدي إليهم حفظهما الله و رعاهم.

إلى الكتاكيت بنات إخوتي: ميرال منة الرحمان، إلين.

إلى أقاربي و الأحباب دون استثناء من قريب أو من بعيد.

إلى كل من مد لي يد العون في مسيرتي العلمية.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

راجية من المولى تعالى توفيقا في الحياة

نورة.

الإهداء:

أحمد الله و أشكره على نعمته، حيث قال خير الأنام عليه أفضل الصلاة و السلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من أهدوني حياة الحرية و الكرامة ليهبوا لنا الحياة إلى شهدائنا الأبرار ألف رحمة عليهم.

إلى الذي قال فيها الرسول (ص) «الجنّة تحت أقدام الأمهات» أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى رمز العطاء و الوفاء الذي أنار لي درب الحياة أبي الحبيب و الغالي أطال الله في عمره وشافاه.

إلى الشموع المنيرة في الظلام إلى الدعائم التي ترفه إلى السماء إخوتي: نصرالدين، صوفيا، سمير، منى.

إلى كتاكيت العائلة، سجود، جنان، مدلين، حفظهم الله و رعاهم.

إلى أعز صديقاتي، و جميع طلبة سنة الثانية ماستر تاريخ.

إلى كل من وسعهم قلبي و لم تسعهم مذكرتي.

بسمة

قائمة المختصرات:

الكلمة	المختصرات
د م	دون مكان
د د ن	دون دار نشر
د س	دون سنة
ط	طبعة
ج	جزء
تر	ترجمة
م	ميلادي
ع	عدد

مقدمة

مقدمة:

تحتل الجزئرمن حيث الأهمية مكانة كبيرة، هذا ما إذا نظرنا إلى موقعها الجيوسياسي المغاربي و الإفريقي فضلا عن ثرواتها الاقتصادية الهامة التي تزخر بها، لهذا جعلها عرضة للعديد من التحرشات و الاعتداءات الاستعمارية المتكررة، التي أدت بها في الأخير إلى احتلالها من طرف القوات الفرنسية عام 1830.

فمنذ أن امتدت يد الاستعمار الفرنسي في الجزائر عملت فرنسا جاهدة على بسط نفوذها في كامل تراب الوطن، حيث كانت بدايات توغلها أولا بالمنطقة الشمالية، إلا أن المقاومات التي شهدتها هذه المنطقة وقفت في وجهها و عرقلت سير تقدمها و ذلك بسبب صمود الشعب الجزائري و رفضه للوجود الاستعماري في أرضه، و عليه أخذت فرنسا توجه أنضارها صوب الصحراء الجزائرية فبدأت تتوغل في مدنها و استغلت بذلك كل إمكانياتها المادية و البشرية، و لم تقف عند ذلك بل سعت إلى الوصول إلى أقصى حدودها الجنوبية.

و نظرا لما اكتشفته فرنسا في إقليم الجنوب من خيرات أخذت تتمسك بهذا الإقليم أكثر فأكثر، فباشرت بإعداد المشاريع بها، حيث مست هذه المشاريع جوانب متعددة منها:دينية،ثقافية، اقتصادية و ذلك بهدف فرض السيطرة على هذه المناطق الصحراوية، و كذا من أجل ترسيخ فكرة وجودها في هذا الإقليم.

و هذا ما سنقوم بدراسته في هذه المذكرة التي تحمل عنوان "المشاريع الإصلاحية الفرنسية في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م" مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874 نموذجا.

أهمية الموضوع:

إن أهمية موضوعنا هذا تكمن في إبراز أخطر السياسات التي طبقها الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري، حيث حاولت فرنسا تجسيد مشاريع عديدة بهذه المنطقة و ذلك بهدف التحكم و السيطرة على هذا الإقليم، مما استدعى بنا إلى إلقاء الضوء على هذا النوع من المواضيع لدراسة هذه المشاريع دراسة محكمة.

أسباب اختيار الموضوع:

تأتي دراستنا لهذا الموضوع انطلاقا من أسباب ذاتية و أخرى موضوعية:

فمن الأسباب الذاتية التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع هو: الفضول الذي انتابنا لمعرفة المشاريع التي سطرتها فرنسا في إقليم الجنوب و من بينها مشروع البحر الصحراوي الداخلي على وجه الخصوص، حيث يعد هذا المشروع من المشاريع التي كانت بعيدة عن اهتمامات المؤرخين والكتاب، فبقي هذا المشروع من المشاريع المجهولة لدى الكثير من الجزائريين.

أما بالنسبة للأسباب الموضوعية:

- محاولتنا التعرف على المخططات التي طبقتها فرنسا بالصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي و اخترنا مشروع البحر الصحراوي نموذجا.
- محاولة الكشف بعض الخبايا المتعلقة بممارسات الفرنسيين في إقليم الصحراء.
- المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر من خلال تسليط الضوء على تاريخ هذه المنطقة.

أهداف الدراسة:

يمكن حصر أهداف هذه الدراسة في جملة من النقاط و هي:

- التعريف بالصحراء الجزائرية من حيث جغرافيتها وكذلك تركيبتها السكانية.
- الوقوف على مدى اهتمام الدول الإستعمارية بالمنطقة وخاصة فرنسا منها.
- الوقوف على أهم المشاريع الاستعمارية الفرنسية التي جسدتها في إقليم الصحراء ومعرفة نتائجها.
- المساهمة و لو بشكل بسيط في إثراء البحث العلمي التاريخي من خلال إضافة مجهود علمي لحقل الدراسات التاريخية.

إشكالية البحث:

تتمحور اشكالية الموضوع إلى أي مدى ساهمت المشاريع الفرنسية التي أقيمت في الصحراء الجزائرية في خدمة مصالحها و أهدافها؟ وهل تجسد مشروع البحر الصحراوي الذي يعد أهم أهدافها؟

- و للتفصيل في هذه الإشكالية طرحنا مجموعة من التساؤولات الفرعية وهي كالأتي:
  * ما هي دوافع فرنسا لاحتلال الصحراء؟
  * ما هي أبرز المشاريع المنجزة على أراضي الصحراء؟
  * فيما تتمثل ردود الأفعال الوطنية و الفرنسية المتعلقة بإنجاز المشروع البحر الصحراوي الداخلي سنة 1874؟

خطة البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات استوجب علينا تقسيم موضوع مذكرتنا إلى مقدمة و مدخل، ثلاث فصول، خاتمة، قائمة الملاحق و أخيرا قائمة المصادر و المراجع.

- كان المدخل التمهيدي بعنوان لمحة جغرافية عن الصحراء الجزائرية حيث تناولنا فيه الخصائص الطبيعية للصحراء فركزنا بذلك على الموقع الجغرافي للصحراء و تضاريسها و على التركيبة السكانية للصحراء. أما بالنسبة للفصل الأول الذي يندرج بعنوان الحركة الاستكشافية في الصحراء و بداية التوسع، مقسم إلى ثلاث مباحث عالجنا في المبحث الأول الاهتمام الأوروبي بالصحراء قبل القرن 19م، و أما المبحث الثاني ركزنا فيه على الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و دوافعه، و أخيرا المبحث الثالث و كان بعنوان التوسع العسكري في الصحراء و ردود الفعل من هذا التوسع.

أما الفصل الثاني عنوناه بـ المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء فقسمنا هذا الفصل كذلك إلى ثلاث مباحث، بالنسبة للمبحث الأول عنوناه بـ نماذج من المشاريع ذات البعد الديني، أما المبحث الثاني فكان عنوانه نماذج من المشاريع ذات البعد الثقافي وأخيرا المبحث الثالث فكان بعنوان نماذج من المشاريع ذات البعد الاقتصادي.

أما بالنسبة للفصل الأخير فعنوناه بـ مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874 الأهداف و الدوافع، كذلك قسمنا هذا الفصل إلى ثلاث مباحث حيث عالجنا في المبحث الأول دوافع المشروع و في المبحث الثاني تجسيد المشروع و أهدافه، و أخير المبحث الثالث ردود الفعل الوطنية الفرنسية من هذا المشروع، و أنهينا البحث بخاتمة كانت عبارة عن

تحاليل من وحي الدراسة حيث تضمنت بعض النتائج المتوصل إليها بعد دراسة دقيقة وتحليل منهجي لثنايا الموضوع فكانت بمثابة الإجابة عن تساؤلات إشكالية الموضوع.

المناهج المتبعة في الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة و مجمل التساؤلات الملحقة بها اعتمدنا على المناهج الاتية: – المنهج التاريخي الوصفي الذي استخدمناه في استعراض الأحداث التاريخية كرونولوجيافي المكان و الزمان و سرد الواقائع التي شهدها إقليم الصحراء من الإستكشاف إلى الغزو.

أما المنهج التاريخي التحليلي فاستخدمناه في تحليل طبيعة المشاريع الفرنسية و التعليق عليها و ربطها بسير الأحداث و استخلاص النتائج.

المصادر و المراجع المعتمدة:

لقد اعتمدنا في دراسة موضوعنا هذا على مجموعة من الدراسات و البحوث العلمية التي تناولت الصحراء الجزائرية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، فقد تنوعت هذه الدراسات من حيث التخصص فمنها الدراسات الجغرافية و منها التاريخية التي تناولت مختلف المصادر والمراجع، فعلى سبيل الذكر لا الحصر كتاب وصف إفريقيا لمؤلفه حسن الوزان الذي يعد أحد أهم الكتب التي أعطت صورة واضحة لبلدان إفريقيا، إضافة إلى كتاب جاكوفيلكس حيث تناول هذا الكتاب حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية خلال شهري أفريل و ماي 1847، هذا بلإضافة إلى مراجع ذات الصلة بالموضوع منهاكتاب إبراهيم مياسي التوسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، و من المراجع أيضا كتب يحيى بوعزيز منها كتاب تاريخ الجزائر في الملتقيات

الوطنية و الدولية و الذي يتضمن مجموعة من الموضوعات المتعلقة بالمشاريع الفرنسية في الصحراء، هذا بلإضافة إلى عدد من الدوريات و الرسائل الجامعيةأفادتنا بدورها في كتابة مذكرتنا.

صعوبات البحث:

من الطبيعي أن يكون هناك صعوبات في إنجاز أي بحث علمي، تتعلق بالباحث وبالموضوع، فإعداد أي موضوع يتطلب جهدا و إتقانا كبيرين من قبل الباحث، ليقدم في النهاية بحثا أكاديميا بالمواصفات المطلوبة، و منه فقد واجهتنا بعض الصعوبات من بينها:

- قلة المادة العلمية و إن وجدت فهي باللغة الأجنبية التي نشكو نقص في إتقانها.
- الظروف الإستثنائية التي تمر بها البلاد حدت من تحركاتنا للبحث عن المادة التاريخية.

مدخل:

لمحة عن جغرافية الصحراء الجزائرية

1- التعريف بالصحراء الافريقية:

* تعد الصحراء الافريقية أوسع صحاري العالم، حيث تمتد شرقا من البحر الأحمر عبر النيل حتى المحيط الأطلسي غربا،[1] أما من الشمال فيمكننا أن نحددها بالأماكن المتعارف على أنها حدودها الشمالية وهي وادي درعة في جنوب المغرب، جبال الأطلس الصحراوي في جنوب الجزائر منطقة جريد بجنوب تونس، و منطقة الجبل الغربي و سرت و مشارف الجبل الأخضر في ليبيا و إلى قرب منطقة الدلتا في مصر، أما من ناحية الجنوب فيحدها مصب نهر السنغال أي حدود موريتانيا الجنوبية و تسير على امتداد خط °10 شمالا إلى خط °30 جنوبا و تقدر مساحتها بحوالي تسعة ملايين كلم^2.[2]

2- الخصائص الطبيعية للصحراء الجزائرية:

تعتبر الصحراء الجزائرية جزء من هذه القاعدة الافريقية الكبرى[3]، فقد عرفت بعدة أسماء منها الجنوب القسنطيني، جنوب ولاية الجزائر، إضافة إلى جنوب الوهراني فقد أطلق عليها هذه التسميات وليس هناك وصف أو اسم آخر يطلق عليها[4]

(1)اسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 13.

(2)محمد السعيد القشاط، **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواد للطباعة و النشر، ليبيا، 1994، ص 15.

(3)محمد الهادي العروق، **أطلس الجزائر و العالم**، دار الهدى، الجزائر، 1998، ص 14.

(4)بسام العسلي، **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية**، دار النفائس، بيروت، 1984، ص 144.

2-1- الاطار الجغرافي:

تمتد الصحراء الجزائرية جنوب الأطلس الصحراوي، حيث تأخذ نسبة 84% من المساحة الاجمالية و التي قدرت مساحتها بـ 1987700 كلم^2 فهي تشكل أكبر جزء من الأرضي الجزائرية، و أغلب تكويناتها من صخور قديمة بركانية. (1)

- فينحصر اقليم الصحراء الشرقي بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالا وتونس و ليبيا شرقا و النيجر وهضبة تادميت(2) غربا كما يمكن تحديد هذا الإقليم من الناحية الغرب بخط طول 3° شرقا المار بالجزائر العاصمة.

- في حين يحدد إقليم الصحراء الغربي بمعالم طبيعية واضحة تتمثل في السفوح الجبلية لسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة تادميت شرقا، وكل من المغرب الأقصى و الصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا و جنوبا. (3)

2-2- المناخ:

يتصف المناخ الصحراوي إلى مناخ قاري قاس في فصل الصيف، لأن درجة الحرارة قد تصل إلى أكثر من 50° درجة في الظل، أما في فصل الشتاء فإن درجة الحرارة تنخفض

---

(1)دبوسي مريم، **التجارب النووية الفرنسية في الجزائر [1960- 1966]**، مذكرة ماستر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945،قالمة، 2013- 2014،ص 2.

(2)**هضبة تادميت:** تقع في منطقة الهضاب في الصحراء الجزائرية، وهي هضبة كلسية فسيحة ممتدة بين دائرتي عرض 27° و 30° شمالا و ترتفع على علو يقدر بـ 60م، انظر إلى جودة حسين جودة، **دراسات في جغرافيا الطبيعية للصحاري العربية**، بيروت، 1980، ص 72.

(3) سلسلة ملتقيات التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص 22.

بشكل كبير ويمكن أن تصل إلى درجة الصفر، هذا ما يجعل المدى الحراري السنوي بالصحراء كبير جدا.

– أما بالنسبة لكمية التساقط في الاقليم الصحراوي، فهي تقل عن 200 ملم في السنة، ذلك لأن أهم كميات الأمطار تنزل على الهوامش الشمالية للصحراء، وهذا راجع لوقوع الصحراء الجزائرية في المنطقة فوق المدارية أين تتراكم الرياح القادمة من خط الاستواء.

– يسود في جنوب شرق الصحراء نظام المطر الصيفي حيث تقل الأمطار كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب. [1]

– بالإضافة إلى هذا التذبذب فإننا نجد في بعض الأحيان أن نزول المطر يكون في هيئة زوابع قوية وعنيفة تملأ في ساعات قليلة مجاري الأودية الجافة أو مايعرف بالأودية الكاذبة.[2]

– فالتساقط بالصحراء الجزائرية يمكن أن ينعدم في بعض المواسم لسنوات طويلة، فظاهرة الجفاف تعود إلى الارتفاع في درجات الحرارة.

2-3- التضاريس:

يتميز سطح الصحراء الجزائرية عموما بالرتابة و الاستواء، إلا أن القسم الغربي أقل تعقيدا من القسم الشرقي[3] فالجزء الشرقي يتميز بانخفاضه على مستوى البحر بـ 31 متر، ولهذه

(1)محمد الهادي العروق، المرجع السابق، ص 13.

(2)أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، دار الناشئة الإسلامية، الجزائر، 1948، ص 40.

(3)**المركز الوطني للدراسات و البحث**في ج. و. ث. أ. ن، المرجع السابق، ص 22.

الأراضي أهمية اقتصادية لانتشار الواحات فيها و المياه الجوفية وغيرها. [1]

أ- المرتفعات:

تتجلى هذه المرتفعات في جبال الهقار ذات التكوين الجيولوجي القديم ذي الأصل البركاني كقمة تاهات، التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف متر وهي أعلى قمة في الجزائر.

ب- السهول الرملية: تشمل مساحة واسعة من الصحراء، وتتمثل في العرق الشرقي[2] و الغربي الكبيرين، وهناك عروق ثانوية آخرى كعرق الشاش، ايقدي، و الراوي،....وغيرها وكذلك الصحراء الحصوية كتضاريس الرق[3]، من بينها رق ثانرزوفت، التي تكاد تنعدم فيها مظاهر الحياة.

ب- الهضاب: تغطي الهضاب الجزء الشمالي من الإقليم الصحراوي، بين الأحواض المنخفضة و الجبال المحدبة، وفي الغالب تكون على أشكال مسطحة و ارتفاعات متوسطة، كعرقبالحمادة[4]، و من أهمهاهضبة تندوف، هضبة تادميت الواقعة شمال عين صالح بانحدار ارتفاعها ل مائتي متر.

(1) عريق صفاء، **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة الجزائرية [1954- 1962]**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، 2014، ص1.

(2)**العرق:** هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية تشبه أمواج البحر جاءت بها الرياح من الحمادة أو الرق، أنظر:إلى بسام العسلي، الله أكبر و انطلقت ثورة الجزائر، ط2، دار النفائس، لبنان، 1986، ص 65.

(3)**الرق:** هو سهل صخري يغطيه الحصى أو أحواض منخفضة ملئتها السيول الجارفة بالرواسب الصخرية، أنظر إلى محمد الهادي العروق، المرجع سابق، ص 16.

(4)**الحمادة:** وهي هضاب صخرية تغطيها صخور جبرية ممتدة في شكل صفائح طبيعية، :ينظر إلى: الهادي درواز، الولاية السادسة التاريخية تنظم ووقائع، 1954- 1962، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009، ص 25.

د- الأودية الصحراوية: وهي التي تجري إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي، تصب في بعض الأحيان في الشطوط، وتختفي أحيانا وسط الرمال، حيث تتميز بأنها ليس لها جوانب مضبوطة و لا حدود معينة، عديمة الانتظام وفجائية الفيضان وتعتبر كنوع من الأودية المهاجرة. (1)

- تنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي و أودية الهقار، فلأولى تنحدر من السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي وتتجه من الشمال إلى الجنوب من أهمها واد جدي، أما القسم الثاني من الأودية فتنحدر من جبال الهقار أهمها وادى تمنراست، واد تافاست.(2)

هـ- الواحات: عرفها أحمد توفيق المدني على أنها عبارة عن مساحات خضراء واسعة تضرب بجمالها وبنخيلها الأمثال. (3)

- فمن أكبر و أشهر الواحات في الجزائر نجد: واحة الزيبان، واحة وادي ريغ، واحة واد سوف، إضافة إلى واحات بلاد الشبكة ومن أهمها غرداية وبني يزقن و القرارة، متليلي، حيث تمتاز هذه الواحات بكثرة العمران وقلة المياه فيها. (4)

و- الغطاء النباتي: تعد الظروف المناخية من أهم الأساسيات التي تتحكم في الغطاء النباتي، ولهذا نجد أن المناخ الصعب و القاحل في الصحراء يغلب على الغطاء النباتي

(1)محمد بن سعدة، توفيق العربي، **موقف الولاية السادسة من المشاريع الفرنسية**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي،الأغواط، 2018، 2019، ص 15.

(2)بسام العسلي، المرجع السابق، ص 76.

(3)أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، مصر 1956، ص 16.

(4)أحمد توفيق المدني، **جغرافية الجزائر القطر الجغرافي**، مرجع السابق، ص 45.

الذي يكاد ينعدم ويقتصر على التشكيلات المتألقة مع الجفاف و ارتفاع درجة الحرارة وهناك مناطق آخرى خالية تماما من الحياة النباتية.[1]

وعموما فإن النباتات المتواجدة في الصحراء تكون قصيرة تتحمل الجفاف و الحرارة المرتفعة[2]مثل السدرة نباتات شوكية.

3- التركيبة السكانية في لصحراء.

إن تركيبة سكان الجزائر هي امتزاج بين الأصل البربري وهم سكان الأصليين و الأصل العربي الوارد مع الفتوحات الاسلامية المتمثلة في الهجرات التاريخية من بني هلال وبني سليم من صحراء شرق النيل إلى المغرب العربي الموافق لسنة 444 هجري. [3]

- توزع سكان الجزائر في القسم الشمالي فقط أما بالنسبة للقسم الجنوبي فكان لقساوة الطبيعة الصحراوية وصعوبة الحياة أثر عميق على السكان، حيث استصعب حياتهم بنوع من الشدة ذلك بسبب قساوة المناخ فيها، لهذا تتوزع الجماعات السكانية في الصحراء حسب مراكز الاستقرار حيث توجد الأراضي الغنية بالمياه الجوفية كالواحات التي تعتبر المصدر الأساسي لرزق معظم السكان،[4]. وسكان الصحراء نوعان:

- النوع الأول: وهم بدو ورحل لا يعرفون الاستقرار في مكان واحد يتنقلون بين الصحراء والهضاب في هجرة موسميه، أما النوع الثاني فهم سكان الحضر المتمركزون بالقرى أو

(1) محمد الهادي العروق، المرجع السابق، ص 15.

(2)بشرى بوشاقور، **استراتجية الاستعمار الفرنسي في فصل الصحراء عن الشمال وردود فعل الوطنية و المغاربية**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي،أم البواقي، 2018- 2019، ص 14.

(3)أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، المرجع السابق، ص 22.

(4)بشرى بوشاقور، المرجع السابق، ص 14.

القصور وتعد هذه الأخيرة خلفيتهم الأساسية، ومركز نشاطهم التجاري و الزراعي، [1] فمن بين **أهم قبائل سكان الصحراء نجد:**

- ✓ **الطوارق:** هم سكان أصليين استوطنوا الصحراء مند القدم، وهم منتشرون في الهقار الطاسلي، و يتكلمون اللهجة الأمازيغية القديمة، فتعد الهقار هي مركز قبائل الطوارق وكل قبيلة تنقسم إلى عشائر كما يعيش شعب الطوارق مثل جميع القبائل الرحل على تربية المواشي و الرعي وهناك جزء قليل منهم يعيشون على الزراعة.
- ✓ **الميزابيون:** يطلق عليهم إسم ميزاب على كنفدرالية تتكون من سبع مدن موزعة على أربع واحات تقع على بعد 600 كلم جنوب الجزائر بين الأغواط في الشمال ومتليلي من الجنوب، وتعتبر غرداية المدينة الرئيسية لبني ميزاب.[2]

- يشكل الميزابيون فئة أصحاب العقارات فهم يمتلكون مطاحن الفرينة ومخابز المدينة، الحمامات، مخازن اللحوم، كما أنهم يتمتعون بامتيازات أكثر من غيرهم في الصحراء.

- ✓ **الشعانبة:** وهم القبائل المنحدرة من الجزيرة العربية بعد الفتح الإسلامي لشمال افريقيا ومنهم من استقر في الصحراء الجزائرية بالضبط في منطقة متليلي، كمنيعة، ورقلة وقد كانت لهم مقاومات عديدة ضد الاستعمار الفرنسي. [3]

---

(1)ابراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري [1881– 1912]**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، [د . ت]، ص 23.

(2)أحسن دواس، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19م**، من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية، مذكرة الماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة قسنطينة،قسنطينة، 2008– 2009، ص 54.

(3)بشرى بوشاقور، المرجع السابق، ص 15.

– وفي الأخير **نستنتج** أن الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية يختلف اختلاف كبير عن شمال الجزائر بسبب المناخ القاسي الذي تشهده الصحراء الجزائرية مما يؤثر بدوره على الغطاء النباتي وكذا الثروة الحيوانية التي تتحكم في نشاط الانسان أما بالنسبة للتركيبة السكانية فتجد أن سكان الصحراء أصولهم مختلفة إلا أنهم تجمعهم رقعة جغرافية واحدة.

الفصل الأول:

الحركة الاستكشافية في الصحراء وبداية التوسع

إن الصحراء الإفريقية بما فيها الصحراء الجزائرية بمثابة جسر عالمي يربط البلدان المختلفة شمالا و جنوبا و شرقا و غربا ،و لكن بقيت طيلة قرون عديدة مجهولة لدى الأوروبيين ومنهم الفرنسيين فبدأ التنافس الأوروبي بإرسال بعثات استكشافية للتعرف على خبايا الصحراء و التوسع في مناطقها وإخضاعها غير أنهم اصدموا بمقاومة عنيفة من طرف الجزائريين.

المبحث الأول: الاهتمام الأوروبي بالصحراء الإفريقية والجزائرية.

تعتبر الصحراء الإفريقية بما فيها الصحراء الجزائرية قلب العالم، لما تحتله من موقع استراتيجي جغرافي- وسطي هام، لهذا اهتم الأوروبيون منذ أن خرجوا من قارتهم في العصر الحديث بغية الكشوفات الجغرافية ومن ثم التوسع الاستعماري فيما وراء البحار[1]. ولم يقدم الرحالة إلا معلومات ضئيلة و محدودة، ويعد الرحالة العرب المسلمون هم أول من تعرف عليها أمثال ابن حوقل (ق 10 م)، و البكري (ق 11 م) و الإدريسي (ق 12 م)، وكذلك ابن بطوطة بالإضافة إلى الرحالة الحسن الوزان [2]الذي قام برحلة إلى الصحراء. [3] ومن الرحلات التي فصَّل فيها في وصف إفريقيا فهي تسعة رحلة إلى الشواطئ الغربية القريبة من فاس ورحلة إلى وسط المغرب حيث زار أيضا حسن الوزان منطقة تادلا ومدينة تفزا التي تقع وسط المغرب، ورحلة إلى بلاد السودان و رحلة إلى الأطلس الكبير رحلة أخرى إلى بلاد حاحاوهي اقليم غربي في مملكة مراكش و تعرف على سفوح الأطلس الغربية و الشمالية ورحلة من مراكش إلى سوس عبر ممر أمزمير وقام برحلة إلى الحجاز من أواخر عام

(1) يحي بوعزيز، **الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا و آسيا وجزر المحيطات**، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 395.

(2) إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934 م)**، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص.ص 395. 396.

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي شخصية عربية اسلامية فذة، اجتمع له من الخصال العلمية و الإنسانية ماجعل الغربيين المسيحيين يقدرونه ويستفيدون من تأليفه الجغرافي في عصر النهضة ويعتمدونه كمصدر اساسي عن افريقيا أما العرب فقد اغفلو على كتابه القيم. أنظر الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج 1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص.ص 5-6.

1516م، ورحلة إلى الاستانة وقام بلانتقال إلى بلاد الليبية و التونسية عند رجوعه إلى المغرب. [1]

أما الأوروبيون فقاد بدأو يحاولون اختراق الصحراء منذ بداية القرن 18م، حيث أثار اكتشاف القارة الإفريقية اهتمامهم فبالرغم من قسوة مناخها و سكانها من الطوارق. ولا شك أن بعض الظاهرات الجيومورفولوجية في الصحراء الكبرى كان لها دورا في كشوفها الجغرافية ولعل أهم هذه الظاهرات هي الواحات و الأودية الجافة و التي أصبحت بمثابة طرق قوافل تقطع للصحراء كما أن بعض أجزائها تقدم فرصا لقيام الزراعة. [2]

ففي فترة الاحتلال الأوروبي كان الاهتمام الأوروبي كبيرا بالصحراء الجزائرية و الذي كان في إطار التنافس الدولي على إفريقيا في نهاية القرن 18م خاصة بين كل من ألمانيا وبلجيكا وهولندا و بريطانيا وفرنسا. [3] فقد تميزت الصحراء بنشاط تجاري واسع، مما استهوى الدول الأوروبية فسارعوا إلى غزوها واستعمارها و اهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع الأنهار و منابعها الإفريقية[4]،حيث كان من أسباب التنافس أيضا هي:

- إيجاد مجالات للصناعة و التجارة الأوروبيين فيما يخص الأسواق والمواد الخام.

- إيجاد مجال لإسكان فائض السكان على الآماد البعيدة.

---

(1)الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **المرجعالسابق**ص.ص. 8. 10.

(2) عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي و الكشوفات الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، (د. م)، 2007م، ص.ص. 194. 195.

(3)عميراوياحميدة، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، 2005، ص 48

(4) يحي بوعزيز، **طرق القوافل و الأسواق التجارية الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن 19م**، مجلة الثقافة، ع 59، الجزائر، سبتمبر- أكتوبر 1980، ص 15.

– القيام بدراسات علمية متنوعة طبيعية، بشرية، و اقتصادية.[1]

وكان الإنجليز أول من أبدى اهتماما بإفريقيا و الصحراء بعد أن تقلص نفوذهم في أمريكا الشمالية فأسسوا عام 1788م جمعية دواخل إفريقيا وكلفوها بتجنيد المغامرين وتوجيههم إلى إفريقيا لاستكشافها و غزوها، فجندت عدد لبأس به منهم وكلفتهم بالقيام برحلة إلى أعماق الصحراء و قامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين و هما: هورن مان Hor Men الألماني و لوكاس(Lukes) ، وليدبارد (lydbard) في رحالات متتابعة ولكنهم ماتوا جميعا. [2]

ففي أعوام 1795– 1797م قام مونقوبارك(Mungo Park) برحلة إلى السودان من بنزانيا في غامبيا بغرب إفريقيا ووصل إلى باماكو و أعالي نهر النيجر. [3] كما قام الألماني هورن مان (horne main) بالقيام برحلة إلى النيجر انطلاقا من مصر عام 1798م و لكنه توفي في تمبوكتو1800م، فعاد مونقوبارك مرة أخرى إلى النيجر عام 1805م و قام كذلك الألماني رونتجن(Rontigen) برحلة من المغرب الأقصى إلى الصحراء. [4]

وقد تابع كلابرتونClaperto رحالات الكشف مع أودني(Oudni) 1822– 1825م ومعدنهام(Denhem) حيث بدأو الرحلة من شمال افريقيا ووصلو إلى طرابلس عام 1822م

(1) يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية**، الجزائر، 1999م، ص 62.

(2) فوزية بن صوشة، **المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19**، مذكرة ماستر كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015– 2016م، ص 07.

(3) إبراهيم مياسي، **قباسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 79.

(4) يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، المرجع السابق، ص 63.

و إتجهوا إلى بحيرة تشاد و انفصل دنهام(Denhem) الذي اتجه لكشف نهر شاري بينما اتجه كلابرتون و أودني جنوب النيجر عبر بلاد الهوسا حيث وصلا إلى مدينة كوكا غرب بحيرة تشاد ثم وصلوا إلى كانوبنيجيريافي عام 1824م، وتوفي أودني قبل الوصول إليها ثم اتجه كلابرتون إلى سوكوتو عاصمة الخلافة الإسلامية،[1] وقد اتصلت الجمعية الإفريقية بالمغامر النقيب غوردونلانغ الذي اشتهربرحلاته الكشفية داخل إفريقيا، حيث طلبت منه الجمعية أن يلتحق بمدينة تمبوكوتو وينضم إلى رحلته كلابرتون الموجودة في سوكوتو. [2]

رحل كايل(R.caillie) 1827 من سيراليون ووصل إلى نهر النيجر ثم وصل إلى ميناء تمبوكتو، وبعدها عبر الصحراء الكبرى و اتجه إلى مراكش، كم قام بيرتون برحلته المشهورة إلى إفريقية و التي كان الغرض منها الوصول إلى بحيرة تنجانيقا لجمع معلومات عنها، ومحاولة الوصول إلى منابع النيل، وقد قام دافيد ليغنجستون الذي يعتبر من أهم مكتشفي القارة الإفريقية ففي 1841م وصل إلى خليج جوا ومنه إلى مستعمرة الرأس (الكاب) و إلى بتشوانالاد، وفي عام 1849 قام ليغنجستون مع وليام أوزيل(willaimoswell) ومرى (Murray) بأول رحلة كشفية عبر فيها صحراء كلهاري ووصل إلى بحيرة نجامي

(1)دنهام كلابرتون، أودنى، **رحلة لاستكشاف إفريقيا**، ج 2، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 5.

(2) إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881– 1912م)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د. م)، (د. ت)، ص 45– 46.

Ngamiفي عام 1850. كما أنه في أثناء تجوله في أجزائها الشمالية وصل إلى نهر الزمبيري عام 1851م. [1]

كما أرسلت ألمانيا الرحالة الشهير هنريبارث للوصول إلى نهر النيجر، فوصلوا إلى بورنو عام 1851م، ثم بعد ذلك قصد بارث بحيرة التشاد حيث رصد الكثير من المعلومات الجغرافية و الجيولوجية وحتى التاريخية للسكان. [2]

أما فيما يخص الرحالات الاستكشافية للصحراء الجزائرية بدأت برحلة الضابط لابي (Labé) الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، ومن جهة أخرى فقد وظف الأوروبيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء، إذ إهتم أفازاك(Avezac) بدراسة المنطقة وأنجز عام 1836م دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء. [3]

في مطلع الخمسينات بدأت الرحلات و البعثات تكثر نحو الجنوب حيث قام هنريبارث الألماني برحلتين في عامي 1849- 1855م، من طرابلس إلى غدامس وغات بفران و توات و تديكلت.[4]

وفيما بين 1862- 1867م قام الرحالة جوهارد(Gerhard Rohlfes) برحالات عديدة لاستكشاف الصحراء مما جعله ينضم إلى فرقة اللفيف الأجنبي الفرنسي في الجزائر حيث

---

(1) يسري عبد الرزاق الجوهري، **الكشوفات الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، لبنان، 1984م، ص.ص 220. 225.

(2) إبراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر (1830- 1963)**، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص. ص 34.33

(3) أحميدة عميراوي، سليم زاوية، محمد السعيد قاصري، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916**، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004م، ص 32.

(4) يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 67.

قام برحلة إلى وهران ثم وادي الساورةفإيغلي، ثم بني عباس ثم أدرار وفي 17 سبتمبر 1864م، دخل إلى عين صالح ثم غدامس ومنها إلى طرابلس. [1]

بالإضافة إلى الرحلة التي قام بها المستكشف النمساوي أوسكارلانز إلى تنذوف مع شخص اسباني مستعرب اسمه بينتيز ووصل إلى تمبوكتو في أول يوليو سنة 1880م.[2]

وعند هذه الرحلة وبعد استكشاف الإنجليز و الألمان للصحراء في كلا الإتجاهيين: شمال جنوب، شرق و غرب، قرر الفرنسيون أن الوقت قد حان للدخول إلى الصحراء لمشاركة منافسيهم في الاستكشاف. [3]

المبحث الثاني: الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و دوافعه.

أولا: البعثات الإستكشافية الفرنسية بالصحراء

مع مطلع القرن 19م، وبعد الاستكشافات التي قام بها كل من الألمان و الانجليز للصحراء الإفريقية ومعرفتهم لكل اتجاهاتها [شمال، جنوب، شرق، غرب]، قرر الفرنسيون أن الوقت قد حان لدخول في مغامرة الاستكشاف للصحراء، و بالتالي تحقيق حلمها التي كانت تسعى إليه منذ عهدلويس الرابع عشر(1661-1715م)،[4] فأخذت الإدارة الفرنسية بدورها تقوم بإرسال بعثات استكشافية نحو الجنوب الجزائري وذلك بهدف معرفة المظاهر الطبيعية و الجغرافية

(1)إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 315.

(2)إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص ص 309- 323.

(3) إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**،المرجع السابق، ص 68.

(4) إسماعيل العربي ،**تاريخ الرحلة و الاستكشاف**، المرجع السابق، ص 293- 294.

الخاصة بالمنطقة من جهة ،وكذا من أجل دراسة المجموعات السكانية ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم، و أوضاعهم الاقتصادية و الاجتماعية من جهة آخرى. (1)

كانت الانطلاقة الأولى للاستكشافات الفرنسية في صحراء الجزائر مع رحلة روني كاييه(RENé Caillié)حيث يعتبر من أبرز الرحالة وذلك لأنه درس مجتمع الصحراء دراسة كاملة ودقيقة.

انطلق روني كاييه سنة 1824م وكله عزم وتصميم، أن يدخل تمبوكتو مهما يكن إلا أن ظروفه لم تسمح له بتنفيذ خطته، بعدها قامت الجمعية الجغرافية الفرنسية بتخصيص مكافأة لأول فرنسي ينقل ملاحظات ايجابية دقيقة من تمبوكتو، وعن القارة الإفريقية، فشرع كابيه في رحلة سنة 1817 م للصحراء ففي 14 مارس 1828م وصل إلى نهر النيجر ثم دخل الى تمبوكتو في 20 أفريل من نفس السنة. (2)

وفي أواخر يوليو وصل إلى تافيلاليتبعد ما سجل ملاحظات عنها، فدخل بعدها مدينة فاس و الرباط وطنجة و كان في نيته أن يخترق الصحراء إلى الشرق نحو الحجار، فقد كان روني كاييه أول مستكشف فرنسي يعود بوصف دقيق للمنطقة الصحراء الإفريقية، حيث عنون كتابه بـ: (3)

Journal d’un voyage à tombouctou et dans l’interieur de l’afrique

(1) عريق صفاء، المرجع السابق، ص 14.

(2) العربي إسماعيل،**الصحراء الكبرى وشواطئها**، المرجع السابق، ص 69- 70.

(3) العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى**....، المرجع السابق، ص 71.

– فبعد روني كاييه بسبع سنوات قام الطبيب الانجليزي جون دافيصونjanedaficon بمحاولة آخرى للوصول إلى تمبوكتو، وبعد احتلال فرنسا لمدينة قسنطينة 1837م سارعت فرنسا إلى ارسال بعثات استكشافية في الصحراء، هدفها معرفة خبايا هذه المنطقة وبالتالي قامت بتكوين لجنة علمية فرنسية عام 1839م، ضمت عدد من العلماء و الضباط العسكريين من أجل البحث عن مختلف جوانب الحياة بالصحراء، بعد احتلال بسكرة في مارس 1844 بدأت السلطات الاستعمارية في استغلال المعلومات ودعمها ببعثات ذات طابع تجاري في الظاهر[1]، فقامت بإرسال الجنرال كافيناك سنة 1847ملتعرف على مسالك الصحراء، الذي لم يسبق لأوروبي الوصول إليها،[2] إضافة إلى بعثه المستكشف ترومليTROMLIE) [3]، التي تزامنت مع حملة الجنرال كافيناك(CAVINAC).

فمع مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر بدأت الرحلات الفرنسية تزداد أكثر نحو الجنوب منها رحلة هنري بارث(Henri Bereth)، حيث توجه هذا الأخير إلى قارة إفريقيا فوصل إلى النيجر ثم رجع إلى بورنوسنة 1851 وأعاد الكرة مرة أخرى في 1853م، ودخل مدينة تمبوكتو، و بالتالي قدم هنري بارث معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء و تشاد. [4]

(1) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 13.

(2)فيلكسجاكو، **حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية خلال شهر أفريل وماي 1847**، تر: حليمة بابوش، دار الرئد للكتاب، الجزائر، ص 16.

(3) س ترومليي، **الفرنسيون في الصحراء يوميات في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: محمد المعراجي، غرناطة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 12.

(4) إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار**....، المرجع سابق، ص 48.

وفي النصف الثاني من القرن 19م، كثف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، فقد قام دوكولومب(Docolomeb)، برحلـــة استكشافية إلى قصور الجنوب الغربي الجزائري حيث طلب الإذن من الجنرال دوبورمون (DOBOR MON) في ديسمبر 1856، فشرع في تنظيم بعثته و اتصل بلخليفة زعيم أولاد سيدي الشيخ وبعض رجال الشعانبة ليستدل على الطريق الأسهل ليعبره نحو الجنوب، فساهم في جانفي 1857 إلى إكتشاف قصور قوارارة وتوات وتيديكلت، فاستغرقت بعثته 25 يوما، تلته بعثة راندون(RANDON)بين عامي 1858- 1859م، حيث اكتشف المنطقة الواقعة بين ورقلة و غات فنشر وقائع رحلته سنة 1859م[1]، ليأتي بعده هنري دوفيه(Henri Duveyrier)، حيث انطلق من سكيكدة في 8 ماي 1859م متوجها مباشرة إلى بسكرة ومكث فيها، وفيمايزيد عن شهر 13 جوان غادرها وتوجه بدوره إلى غرداية ووصل إليها في 21 من نفس الشهر 1859 [2]، ثم توجه إلى متليلي و إلتقى مع رجال التوارق من أجل مساعدته في زيارة بلدهم، وكان الهدف من هذه الرحلة هو التعرف على المرشدين من التوارق، لكن بعثته باءت بالفشل، ثم أعاد الكرة مرة آخرى في 1860 م و انطلق من بسكرة وزار وادي سوف و الجريد التونسي[3].

(1) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 51.

(2)DominqueCasausj , **henriDuvreyrerjornal d'un voyage dans la prorrinced'alger**, OAI, paris, 2006 p1.

(3) نخبة من الباحثين و المؤرخين، **بسكرة بعيون الرحالة الغربيين**، محاضرات و مداخلات الملتقي الوطني الثالث عشر، إصدارات الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2018، 154.

– كما تعتبر بعثة كل من ميرشير(mirchir) وبولیناك(polinac) و المهندس فانون (Fanoun) و الطبيب هوفمان(HOFEMEN) سنة 1862م دافعا جديدا للتوغل الفرنسي نحو الجنوب و خدمة لأغراض التجارة الفرنسية[1].

إضافة إلى بعثه من المستكشف ابول صولي (ibol solier) و أبول فلاينر (ibolflainer) اللتان تهدفان إلى تحديد النقاط المحتملة للإنشاء سكة حديدية تربط بين الجزائر والسينغال.[2]

– كما قام الفرنسيون بمساعدة بإدلاء جزائريين لاكتشاف الصحراء ومنها إلى إفريقيا ومن ذلك بعثه اسماعيل بوضربة، وموبتلاسكي، وكان العلماء الفرنسيين مدنيين و عسكريين مسلحين بالعلم و المعرفة و الاخلاص لوطنهم، و كانوا يستعملون نفوذهم المادي و المعنوي و السياسي لتسخير الجزائريين ليكونوا لهم ادلاء و مساعدين لتحقيق أغراضهم. [3]

كانت البعثات الاستكشافية التي نظمتها فرنسا بالصحراء الجزائرية جزء من مخططها التمهيدي، وذلك من أجل احتلالها وبسط نفوذها الاستعماري عليها.

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر و العشرين**، البصائر الجديدة، للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 322.

(2) الإمام بريك، **التنافس الاستعماري الأوروبي على إفريقيا و انعكاساته على التواصل الحضاري بين الجزائر و دول الساحل الإفريقي**، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ص 3.

(3) أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي [1830– 1954]**، ج6، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 102.

ثانيا: دوافع البعثات الفرنسية نحو الصحراء.

تعددت الأسباب و الدوافع التي جعلت فرنسا تفكر في مد نفوذها في المناطق الصحراوية بين دوافع سياسية و عسكرية و الأخرى اقتصادية ودينية. [1]

أ- دوافع سياسية و عسكرية.

يرجع سبب اهتمام الفرنسيين بالواحات الصحراوية إلى تحويلها إلى معاقل للثوار والمجاهدين الذين كانوا يفرون من الشمال إليها، و الاهتمام بها و لأجل التخطيط لإقامة المقاومات[2] خاصة بعدما وجدوا الدعم من أهاليها

فقد تعرضت بعض حملاتهم وبعثاتهم العسكرية التوسعية إلى هجمات الجزائريين في أعماق الصحراء، مما قوى من عزمهم وحفزهم أكثر على التوسع و السيطرة على كل الواحات الصحراوية، ومنها منطقة الهقار، كما أن حملتي الأمير عبد القادر على عين ماضي في 1838م وعلى بسكرة 1839م شكلت للصحراء الجزائرية هاجسا مقلقا في عين الفرنسيين، لكون الثورات التي كانت تندلع في الشمال كانت تجد في الجنوب و الواحاتسندا لتجديد المقاومة لهذا قامت فرنسا بقطع الطريق عن المجاهدين[3] و اعتراض سبلهم، وكذا

(1) محفوظ رموم، **الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري و المجابهة العسكرية و الثقافية**، ص 54.

(2) يحي بوعزيز، **اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار**، مجلة الأصالة، جامعة تمنراست، العدد 72، 1979، ص 53 .

(3) يحي بوعزيز، **موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 778.

قطع الخطوط الخاصة بالتموين و الإمداد، إضافة إلى تتبع تحركات المجاهدين الجزائريين .(1)

كما سعت فرنسا إلى تعزيز وجودها الاستعماري في الصحراء، حيث قامت بجمع إمكانياتها بمحاولة إبعاد الخطر المتمثل في منافستها بريطانيا و المحاولات الإسبانية و الألمانية في احتلال الصحراء(2) بغية تكوين إمبراطورية استعمارية في القارة الإفريقية، فلجأت بذلك إلى إبرام اتفاقية بين فرنسا و بريطانيا في 5 أوت 1890م، تكون بموجبها كل أراضي الجنوب الجزائري مناطق نفوذ فرنسية. (3)

فرنسا كانت ترى أن احتلالها ناقص مالم تكمل السيطرة على الصحراء الجزائرية فقد كان الهدف من وراء عملية الاستكشاف و التوسع هو السيطرة، على الصحراء الجزائرية و بالتالي من أجل سهولة التوغل داخل قارة افريقيا، وكذا ربط مستعمراتها الإفريقية بالجنوب الجزائري.(4)

كما عملت فرنسا جاهدة على تفكيك المجتمع الجزائري وذلك من خلال تغذية الصراعات الطائفية و العرقية، محاولة منها التفريق بين المجتمع الصحراوي. (5)

---

(1) محمدي أم كلثوم، **السياسة الفرنسية إزاء الصحراء الجزائرية 1954- 1962**، مذكرة ماستر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2012- 2013، ص 24.

(2)محمدي أم كلثوم، المرجع نفسه، ص 20.

(3) مليكة بوصوار، **التجارب النووية الفرنسية في الجزائر**، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ ،جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2016- 2017، ص 15.

(4) بشرى بوشاقور، **المرجع السابق**، ص18.

(5) محمد بن محمذن، **الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع و العراقيل**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 20، 2013، ص 163.

ب_الدوافع الاقتصادية:

هناك العديد من العوامل الاقتصادية و التي حثت فرنسا على الاستحواذ على الصحراء الجزائرية ومن بين أولى هذه الدوافع نذكر منها:

– استغلال فرنسا الطرق الصحراوية للتجارة، وذلك بهدف استغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوروبا إضافة إلى ذلك أن الصحراء هي مورد رزق، فقد بررت فرنسا اهتمامها من خلال السماح لقافلتين تجاريتيينفرنسيتيينبالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها في 13/ 7/ 1844م، أي بعد احتلالها في مارس 1844م وذلك من أجل معرفة أسواق المدن الداخلية، ولهذا اتجهت قافلة تقرت و آخرى إلى عين صالح، وهناك تعرفتا على أهم مركز تجاري في الصحراء، وهو تمبوكتو وبهذا فتحا الباب أمام قوافل آخرى منها قافلة التاجر غارسان(Gharecan) الذي قام بزيارة بسكرة في 1848م، و في نفس السنة قام أحد الفرنسيين برحلة من تونس مرورا بوادي سوف ثم تقرت إلى غاية بسكرة. [1]

كما قامت الإدارة الاستعمارية بتوقيع معاهدة غدامس مع زعيم التوارق الشيخ ايخنوخن في 26 نوفمبر 1862م، وذلك لربط علاقات الصداقة مع رؤساء الطوارق ومن بين أهم بنودها نذكر: [2]

– إقرار الصداقة و التبادل بين السلطات الفرنسية و رؤساء مختلف فروع القبائل التارقية.

(1)محمدي أم كلثوم، المرجع السابق، ص22.

(2)فيليكس جاكو، المرجع السابق، ص 60.

– حرية ممارسة التوارق للعمل التجاري في كل الأسواق الجزائرية دون أي قيد أو شرط عدا أداء المكوس العادية. (1)

– على التوارق أن يلتزموا بتسهيل وحماية عبور المفوضية الفرنسية لبلادهم و تنقلاتهم إلى بلاد السودان وحماية بضائعهم التجارية.

– تلتزم السلطات الفرنسية و زعماء القبائل بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودانواصلاحها و إزالة كل العراقيل في وجه النشاط التجاري الفرنسي.

ونتيجة لهذه الاتفاقية تم توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا، و الجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية، وفتح المجال أمام الاستثمار و الاستغلال وذلك يهدف للحصول على المنتجات التي تفتقر إليها فرنسا خاصة و أوروبا عامة. (2)

كما قامت فرنسا بوضع شبكة طرق للمواصلات الحديدية و البرية حيث كانت فرنسا تهدف إلى ربط الجزائر بمستعمراتها في إفريقيا الغربية مالي و السنغال، وذلك بإنشاء سكة حديدية لتسهيل عملية التنقل في ظروف أمنية. (3)

(1) يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2001، ص 61.

(2) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 83.

(3) إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص61.

ج_الدوافع الدينية:

سعت فرنسا عند احتلالها للجزائر إلى اعادة بعث مجد الامبراطورية الرومانية على أرض الجزائر، و بالتالي تحقق حلم إفريقيا المسيحية الذي أهمل منذ أربعة عشر قرنا،[1] كما عملت فرنسا جاهدة على إدماج سكان الصحراء بالحضارة الفرنسية المسيحية، لأنها كانت تنظر للدول الإفريقية نظرة احتقار وترى بأنها غارقة في مستنقع التخلف، وبالتالي فإن غزوها للشعوب الإفريقية[2] وقضائها على الدين الإسلامي، و إرساء ونشر معالم الدين المسيحي هو أقدس مهمة تحاول العمل على تحقيقها، وتكون بدايتها من الجزائر بوابة إفريقيا. [3]

أقامت فرنسا مجموعة من الكنائس في كل المدن الصحراوية بل وفي أغلب الأحياء الشعبية الأكثر فقرا، حيث تولى هؤلاء المبشرون مهمة تقديم المساعدات لساكينيها من أغذية وملبس و أدوية بهدف جذب هؤلاء السكان بهذه الأعمال الخيرية و بالتالي التقليل من تأثير دور المرابطين و رجال الطرق الصوفية، فقد تولى الجنرال بيجو مسؤولية تنفيذ سياسة التنصير واسعة النطاق حددها في قوله:« علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع الانجيل.... تلك هي رسالتنا » . [4]

---

(1) إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**، المرجع السابق، ص 101.

(2) بشرى بوشاقور، المرجع السابق، ص 21.

(3)هقاري محمد، **التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان المنطقة مابين 1850- 1916**، رسالة الدكتوراء، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2015- 2016، ص 56.

(4)هقاري محمد، **دور سكان منطقة أزجر و الهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 24، جوان 2016، الجزائر، ص 27.

المبحثالثالث:التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية و أهم الثورات:

إن التوسع الفرنسي في الصحراء جاء كنتيجة حتمية لما قدمته هذه الإستكشافات من معلومات هامة حول كل مايتعلق بالجنوب الجزائري، حيث فضلنا تقسيم هذا العنصر إلى عدة عناصر تتعلق بالجانب العسكري، فنعني بذلك أهم المعارك التي خاضها سكان الجنوب ضد التوسع الفرنسي في الصحراء.

1- المعارك في القسم الصحراوي الأوسط.

- **ثورة الزعاطشة:**

تعتبر أولى المعارك الفاصلة في الصحراء فبعد استيلاء فرنسا على المناطق الخاصة بلأمير عبد القادر و بالضبط منطقة الزيبان و تراجع دور أحمد باي في الشرق منذ 1844، بدأت السلطات الفرنسية بوضع يدها على الجنوب الجزائري، هذا ما دفع بخلفاء الأمير عبد القادر إلى استكمال مهمتهم المتمثلة في عرقلة تقدم فرنسا في الصحراء وكذا إنهاء وجودها تماما في الجزائر. [1]

فمع بداية سنة 1849م تكاثفت الثورات في كامل ربوع الوطن، حيث شهدت منطقة الصحراء كذلك العديد من الثورات أبرزها ثورة الزعاطشة، حيث تعتبر أولى المعارك و أهمها

(1) العربي بلعزوز، **مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1819**، مجلة العصور الجديدة، ع 1، الجزائر، 2018، ص 128.

في الصحراء فقد دامت قرابة أربعة أشهر، فشملت كل من بسكرة، الحضنة، طولقة، أولاد جلال، بوسعادة، إضافة إلى العديد من الواحات منها واحة الفزفارو، واحة ليشانة.[1]

قادة هذه الثورة الشيخ بوزيان كما ساهم عدد من رجال الدين كذلك بقيادتها أمثال عبد الحفيظ الحنفي، الصادق بن الحاج وغيرهم.[2]

أما بالنسبة للأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة نذكر منها:

– رفض الشعب الجزائري للوجود الفرنسي و إصراره على مواصلة الجهاد كامتداد للثورة التي قادها الأمير عبد القادر.

– الاحتلال الفرنسي للزيبان و الأوراس.

– اندلاع عدد من الانتفاضات المحلية خلال عام 1848م، و أوائل 1849م مكان انتفاضة جهات القل و البابور و مليانة و ريغة و المدية و وسور الغزلان، أولاد نايل.

– انشغال فرنسا بثورة 1848م، و ما تخللها من سقوط النظام الملكي و قيام الجمهورية.

– قيام هذه الثورة هو إقدام فرنسا على رفع الضرائب على أشجار النخيل، من 15 إلى 45 سنتيم دفعة واحدة، رغم تدهور إنتاج الثمور في الواحات عام 1848م. [3]

– استغل الشيخ بوزيان زعيم الثورة هذه الظروف للاستعداد بقيامها حيث جند عدد من المجاهدين و المرابطين معهم و كانت خطتهم هي الهجوم على الحامية الفرنسية في بسكرة،

---

(1)**الشيخ بوزيان: رجل متصوف ومقدم الطريقة الدرقاوية بمنطقة الزيبان، عمل تحت أنره الخليفة الأمير عبد القادر، كشيخ على سكان الزعاطشة، يعتبر أبرز الثوار الذين خاضوا المعارك ضد العدو الفرنسي في القرن 19م**، ينظر إلى: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 185.

(2) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 24.

(3) بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 126.

فأول فشل جناه العدو وكان على كاربيستا قائد مدينة باتنة الذي تقدم إلى الزعاطشة بقوة تقدر بـ 16 عسكرية تقارب ألفي جندي يوم 16 جويلية[1] حيث قتل العديد من جنوده و أمام هذا الانتصار لثورات الزعاطشة قام الجنرال الفرنسي هربيوس بإرسال قوة عسكرية تتكون من حوالي خمسة آلاف جندي في قرية الزعاطشة ففي 17 أكتوبر بدأ الحصار على مركز الثورة فرفض سكانها الاستسلام و أمام إصرارهم على القتال قامت المدفعية الفرنسية يوم 26 نوفمبر 1849 بضرب الأسوار المحيطة بقرية الزعاطشة للإحداث التغير فيها، و التمكن من التغلغل و التسلل داخل الواحة،[2]فانتهت هذه المقاومة بإستلاء الجيش الفرنسي على قرية الزعاطشة بعد معركة دامية راح ضحيتها 800 شهيد كما قتل الشيخ بوزيان وذبحه هو و ابنه و أحد مساعديه في المقاومة ورس رؤوسهم على الجدران للتمتع بتطاير الدماء و الأمخاخ، بالإضافة إلى قطع جنود الإحتلال لما يقارب عشرة الاف نخلها وحرقها ومصادرة أملاك الأهالي،كذلك من بين نتائج هذه المقاومة أيضاهو احتلال مدينة بوسعادة، حيث أن هذه الأخيرة قد قامت فيها ثورة بقيادة محمد علي شبيرة.

-كما قام العقيد كانرو بار في 5 جويلية 1850م بالهجوم على واحة نارة التي تقع على ضفاف وادي عبدي بالأوراس، بقوة قوامها ثلاث فرق من الجيش وعمل على تدميرها وحرقها وقتل كل سكانها لتلاقي نفس مصير واحة الزعاطشة[3].

(1) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 24.

(2) العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية**، دار المعرفة للنشر و التوزيع، 2006، ص 199، 200.

(3) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة أول نوفمبر 1954،دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر،1985، ص68.

- مقاومة الأغواط:

ظهرت هذه الثورة في مدينة الأغواط، قائدها كان الشريف محمد بن عبد الله، امتدت حتى لورقلة و تقرت وواد السوف في أوائل 1851.

لما عاد الشريف محمد بن عبد الله من المشرق توجه مباشرة إلى تقرت، فقصد زاوية الروسيان قرب ورقلة، حيث نادى هناك بضرورة قيام الثورة و استأناف الجهاد، فاستجاب الشعب، فأتخذ بذلك الأغواط قاعدة له فراح يشن هجماته على مراكز الفرنسيين في التل ومحاصرة المدينة في 4 ديسمبر 1852.[1]

فقام بعدها الفرنسيون بتجنيد قوات كبيرة للقضاء على هذه الثورة، و الهجوم على المجاهدين و القبائل الموالية لهم، فقامت القوات الفرنسية بإرتكاب جرائم فضيعة في حق سكان الأغواط، بعدها واصل الشريف محمد و إخواته تحدي القوات الفرنسية وتهديم المراكز الاستعمارية، فعمدت فرنسا أمام عجزها على إخماد الثورة و القضاء عليها فقامت بتحميل القبائل المتعاونة معها [الخونة] خاصة قبائل أولاد سيدي الشيخ بقيادة سي حمزة على بذل المزيد من الجهود لتطويق الثورة وضرب المجاهدين و القبائل الثائرة و إرغامهم على الاستسلام، فأضطر الشريف محمد بعد انكساره في معركة نقوسة شمالي ورقلة في خريف 1853م إلى اللجوء إلى منطقة الجريد التونسي حيث مكث شهورا هناك، ثم عاد في 1854 إلى الجزائر ليستأنف جهاده بمنطقتي ورقلة و تقرت لكنه لم يصمد طويلا أمام الغزاة، خصوصا بعد تغلبهم عليه في معركة ماغارين ثم انسحب ثانية إلى الجريد التونسي وبقي

(1) علي محمد الصلابي، **الأمير عبد القادر**، (دد ن)، (دم)،(د س)، ص 410.

هناك إلى غاية 1858م، فرجع إلى الجزائر للإستكمال نشاطه إلا أن أسرة زعيم أولاد سيدي الشيخ الباشا سي بوبكر ولد حمزة، في أواخر 1861 وسلمه إلى الفرنسيين، فحبسوه سجن عسكري جنوب فرنسا، ثم حولوه إلى عنابة و تمكن بعدها من الهروب من السجن فأستكمل نشاطه،[1] وظلت مقاومة مستمرة ولم تنته الابوفاته في الأراضي التونسية سنة 1895م.[2]

2- المقاومة في القسم الصحراوي الشرقي:

- ثورة محمد بن تومي بوشوشة 1870- 1874

احتضنت منظمة توات كغيرها من مناطق أقصى الجنوب الفرنسي الجزائري مقاومات عنيفة من بينها مقاومة محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة، حيث يعتبر هذا القائد من المؤسسين لحركة التوارق بالصحراء، وزعيم وطني خصوصا بعد إعلانه لقيام الثورة ضد الاستعمار[3].

ففي شهر أفريل من عام 1870م هاجم مدينة القليعة و استولى في 5 ماي على مدينة متليلي بعد حصار دام عدة أيام، وفي أواخر 1870 م انتقل من مركزه بعين صالح إلى واحة الرويسات قرب ورقلة ثم اتجه إلى واد سوف، وفي 5 مارس 1871م هاجم حامية ورقلة فهزمها و استولى عليها بمساعدة أنصاره الموجودين داخلها، ثم عين بن ناصر شهرة خليفة عليها لكي تكون قاعدة للثورة، وفي 13 ماي من نفس السنة قام بمهاجمة تقرت

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 129.

(2) مسعود دحدي، **ثورة الشريف بن محمد عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي [1848- 1895]**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع1، المركز الجامعي بالوادي، جوان 2010، ص 132.

(3)محفوظ رموم، المرجع لسابق، ص 58.

وانتصر على القوات الفرنسية المرابطة بها، إلا أن القوات الفرنسية تمكنت يوم 27 ديسمبر 1871م من شن هجوم كبير على مدينة تقرت، ثم احتلت من جديد مدينة ورقلة يوم 2 جانفي 1872م وذلك بعد معركة عسكرية بقيادة الجنرال دولاكروا ضد حاكمها بوشوشة واستأنف هذا الأخير حرب العصابات ضد القوات الفرنسية في المنيعة وحارب إلى أن وقع في الأسر في معارك مارس 1874م، فأخذوه إلى ورقلة عاصمتها الأولى ثم نقل إلى سجن قسنطينة حيث قدم إلى المحكمة فصدر الحكم عليه بالإعدام بتاريخ 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتون بقسنطينة.[1]

- ثورة التوارق 1916م – 1919م.

في عام 1916م اندلعت ثورة التوارق في الصحراء الجزائرية و امتد لهيبها من مدينة غاب على الحدود الليبية الجزائرية شرقا، إلى مدينة تمنراست غربا، بما فيها منطقتي طاسيلي أزجر، الهقار، ومن مدينة ورقلة شمالا إلى حدود النيجر جنوبا،[2] فلمع فيها كل من أحمد سلطان و الشيخ عبد السلام، فأشغل قادة هذه الثورة، إنشغال فرنسا بظروف الحرب العالمية الأولى، ليعلنوا جهادهم ضد المحتل الفرنسي فسلحوا جنودهم بالبنادق و المدفعية التي انتزعوه من الجنود الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا عام 1912م، و اتجهوا نحوواحةجانات أين كان يوجد بها مركز عسكري فرنسي بقيادة الضابط لوران لابير، فحاصروا المركز مدة ثمانية عشر يوما ابتداء من يوم 6 مارس 1946م، وقبل البدء بالهجوم عليهم بعث الشيخ عبد

(1)عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962**، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1997، 145-146.

(2) الغالي غربي، **مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1881**، العدد 2، 2016، ص 3.

السلام برسالة إلى الضابط الفرنسي يحثه فيها على الاستسلام إلا أنه رفض فعندئذ أمر الشيخ بمهاجمة الحصن بالرصاص و تبادل الطرفان إطلاق النار.[1] إلا أن النتيجة في النهاية كانت للثوار الجزائريين الذين تمكنوا من اقتحام حصن جانيت يوم 24 مارسوانسحب بعدها لابير رفقة الجنود الذين تبقوا معه من الفرنسيين و الصبايحية، نحو حصن بولیناك الموجود بإليزي، وعندما واصلو إلى منطقة تباركات سمعوا بأن قافلة نجدة فرنسية في الطريق إلى جنات، فقرر الضباط العودة و في طريقهم فوجئوا بثوار عبد السلام يحاصرونهم من كل جانب، فاستسلم الضابط لابير و التحق معظم الضباط الذين كانوا معه بالثوار فأسروه، وكرد فعل على هذه العملية سيرت السلطات العسكرية الفرنسية جنودها بقيادة الضابط مينيي (Minyee) للاسترجاع حصن جانيت، و لم يتمكن منها إلا بعد معارك دامية انسحب على إثرها الشيخ عبد السلام و أحمد سلطان رفقة جنوده إلى تاغيت،و في عام 1917م كون أحمد سلطان قوة تتكون من 300 شخص وبادر فيها بالهجوم على مراكز العدو إلى أن تمكنت منه فرنسا، وفي نفس الوقت الذي كان فيه توارق جانيت يحاربون العدو كانت الثورة مشتعلة في الهقار، فقام ثوارها سنة 1916 بقتل الأب دوفوكو الذي كان يعمل لصالح الجيش الفرنسي في الصحراء ، و كان مقتله بداية لثورة كبيرة في الهقار دامت إلى غاية 1919التي تزعمها القائد كاوسنالتارقي[2].

(1)عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر و التوزيع،الجزائر،160،2002.

(2) عمار عمورة، المرجع نفسه، ص 161.

3- المقاومة في القسم الصحراوي الغربي:

تعد المقاومة الشعبية في منطقة الجنوب الغربي ضد التوسع العسكري للاحتلال الفرنسي إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ المقاومة، حيث تجسدت في كل من المقاومة أولاد سيدي الشيخ، ومقاومة بوعمامة، فسنتطرق على كل واحدة منها.

- **ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م:**

انطلقت ثورة أولاد سيدي الشيخ من منطقة البيض في عام 1864م بقيادة سي سليمان و عمه سي الأعلى حيث قاد هؤلاء معركة عنيفة ضد القوات الفرنسية،[1] ولعل من أسباب قيام هذه الثورة هي:

- رفض الاحتلال وهو السبب الرئيسي لكل المقاومات.
- انتقاص من قيمة أسرة أولاد سيدي الشيخ، وتحطيم نفوذهم السياسي و الاجتماعي.
- الأوضاع المتدهورة و الظلم الاستعماري.
- سوء معاملة ضباط المكاتب العربية الذين عرفوا بالعنف و الشراسة تجاه الأهالي. [2]

* لكن أهم سبب رئيسي الذي أدى إلى تفجير الثورة هو الاعتداء الذي قام به جنود الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض على سي فضيل كاتب سي سليمان بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ يوم 29 جانفي 1864م،فيرجع نسب هذا الحادث إلى تدخل أحد

(1)عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج1، دار العثمانية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 57.

(2)بلعيدي فايزة، بوندارة خديجة، **ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني 1864- 1881م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب المعاصر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أحمد دراية، ادرار، 2018-2019، ص 36.

الصبايحية إثر تحريك بيدق بطريقة غير صحيحة عندما كان يشارك أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ و سي فضيل في لعبة الهف شبيهة باللعبة الشطرنج فوقعت المشاجرة بين هذا الصبابحي و السي الفضيل في مركز المكتب العربي ولما علم سي سليمان بما حدث لكاتبه اعتبره هذا العمل اهانة له فاستقال من منصب الباشا، بعدها أعلن الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وكلف سي الفضيل بكتابة رسائل إلى الزوايا و القبائل و العروش يحثهم على الجهاد و الالتحاق بالثورة، و بالتالي انضم إليه العديد من العروش ففي 8 أفريل 1864م كان أول لقاء مع العدو في معركة عوينة في بوبكر شرق البيض، أين قام المجاهدون بهجوم مفاجئ على مخيم الجيش الفرنسي، و انتصروا عليهم و كبدوا خسائر فادحة من بينها قتل قائدهم العقيد بوبريتر، الذي قتل على يد سي سليمان لكن في الأخير قتل أيضا في نفس اللحظة من طرف حراس العقيد الفرنسي، فخلفه أخوه سي محمد بن حمزة و امتدت الثورة بعدها إلى معظم مناطق الداخلية الغربية و الوسطى مابين شمال الصحراء و الأطلس التلي وكذلك واحات شمال الصحراء، التي قادها كل من: سي الأعلى سي الأزرق بلحاج بالونشريس و النعيمي ولد جديد، هذا بإضافة إلى إنضمام سيدي الشيخ سي الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ فرح الغرابة، [1] وقاموا بمجابهة المراكز الفرنسية و أمام هذا الوضع الخطير جندت فرنسا كل قواتها للتصدي لهم، فأرسلت 4 جينرالات لكن لم يستطيعوا فعل شيء أمام صمود المجاهدين، بل زادت رقعة المعركة و اتسعت أكثر في كل من مشرية والأغواط وسعيدة، و أنظم إليهم الزعيم ناصر بن شهرة كذلك فقام الثوار بمجابهة الكتائب

(1) العربي منور، المرجع السابق، ص 211.

الفرنسية، وتدمير مزارع المعمرين و المؤسسات الاقتصادية الفرنسية، وكرد فعل قام الجيش الفرنسي بتدمير القرى و مصادرة ممتلكات القبائل الثورية.

وفي 22 فيفري 1865م استشهد الزعيم الثاني للمعركة أولاد سيدي الشيخ خلال مواجهة للقوات العدو بقيادة الجنرال دولين، ثم خلفه في قيادة الثورة سي أحمد و لد حمزة مع عمه سي الأعلى، وخاض الاثنان عدة معارك ضد الاستعمار من بينها معركة حاسي بن العتاب، وغار الفيقور عام 1866م تكبد من خلالها الطرفان خسائر [1] في الأرواح و العتاد، و في شهر أكتوبر 1868م، توفي الزعيم الثالث سي أحمد، فخلفه أخوه سي قدور، فقام هذا الأخير بمهاجمة القبائل المعارضة و المتواطئة مع الاستعمار الفرنسي و في يوم 17 أفريل 1871م دارت معركة عنيفة بين قوات سي قدور و جيش الضابط الفرنسي ديميلوزا في منطقة سعيد، فتضرر منها الطرفان ورغم المحاولات الفرنسية المتكررة للدخول في مفاوضات مع أولاد سيدي الشيخ لتوقيف القتال، إلا أنها لم تنجح، وبقي الوضع هكذا حتى تقلص نشاط الثورة شيء فشيء ليفسح المجال من جديد لثأر جديد من أولاد سيدي الشيخ ألا وهو الشيح بوعمامة.

(1) العربي منور، المرجعالسابق، ص 212.

- ثورة بوعمامة 1881- 1908:

تعتبر ثورة بوعمامة من أطول الثورات الجزائرية التي اندلعت في وجه الغزو الفرنسي ذلك لأنها دامت قرابة ربع قرن 1981 إلى 1908م،[1] كما تعتبر هذه الثورة امتداد لثورات أولاد سيدي الشيخ التي بدأت سنة 1864م و استمرت متقطعة تلتهب و تنطفئ. [2]

- حاولت فرنسا منذ 1845م أن تقسم عائلة أولاد سيدي الشيخ بين الجزائر و المغرب و تخلق صراعات بينهم، لكن الشيخ بوعمامة استغل فرصة تواجد أفراد عائلته في المغرب و الجزائر، و أصبح ينتقل بين البلدين و يقاتل الفرنسيين متى يشاء ففي 22 أفريل 1881م أرسلت فرنسا فرقة عسكرية كبيرة للقضاء على الشيخ بوعمامة و زعماء الثورة في الصحراء[3] لكن رجال بوعمامة تمكنوا من نصب كمين لقائد الغرفة الفرنسية الملازم الثاني و اينبرينار و قضوا عليه قبل أن يتمكن من القضاء على المجاهدين وبعدها امتدت ثورة بوعمامة إلى ناحية وهران في شمال البلاد، لكن نجاحه الكبير كانت في الصحراء حيث أسر الجزائريون في عهده بعثة عسكرية فرنسية كانت متواجدة في الهقار بقصد اكتشاف مجاهل الصحراء، و قتلوا قائد البعثة الكولونيل فلاتير، وفي معركة آخرى استطاع بوعمامة أن يأسر 300 فرنسي، لكن في الأخير استطاع الفرنسيون أن يحاصروا بوعمامة في الصحراء،

(1) العربي منور، المرجعنفسه، ص 213.

(2) عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881**، 1908، ج1، موفر للنشر، الجزائر، 2010، ص7.

(3) علي محمد محمد الصلابي، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي**، دار المعرفة، لبنان، ص 647.

بحيث لا تتسرب أخبار مقاومة إلى شمال البلاد، كما تغلبوا عليه بسبب تفوقهم في السلاح، وكذا ازدياد النفوذ الفرنسي في المغرب وصعوبة تنقله بين البلدين. [1]

- ومنه نستنتج أن:

- الصحراء الجزائرية بحكم مساحاتها الشاسعة و ثرواتها الطبيعية قد شكلت عنصر جذب واهتمام من قبل الدول لأوروبية لهذا تكاثفت عملية الاستكشاف بها.

- البعثات الاستكشافية التي نظمتها فرنسا في الصحراء الجزائرية كانت جزء من مخططتها التنفيذية و ذلك من أجل السيطرة و التوسع فيها.

- الثورات التي وقعت في الصحراء الجزائرية ثبتت عزيمة وقوة الجزائريين في التصدي لقوات الاحتلال الأجنبي حيث حاولوا باستمرار أن يسترجعوا سيادة الدولة الجزائرية، لكن قوة الاستعمار وعتاده ساهمت في إضعاف تلك المقاومات الجزائرية و تخفيف من حدتها.

(1)عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 151.

الفصل الثاني:

المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء

بعد توسع سلطات الاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري واحتلال مناطقه، عملت فرنسا على تجسيد مشاريع دينية، ثقافيةو اقتصادية بها، وذلك من أجل بسط سيطرتها وترسيخ وجودها الفعلي بهذه المناطق المستهدفة.

المبحث الأول: المشاريع الدينية

1. التنصير:

لقد ارتبط التنصير [1] ارتباطا وثيقا بالاحتلال الأوروبي، كونه أحد أسلحته والجبهة التي يرتكز عليها في تدعيم أركانه وتثبيت دعائمه، حيث يقول أحد السياسيين الفرنسيين: "إن النشاط التبشيري والنشاط الاستعماري شيئان متلازمان، لأن الهدف الأسمى للاحتلال هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمرين[2]."

سارعت فرنسا مع بداية احتلالها للجزائر مباشرة إلى تحطيم كيان الأمة الجزائرية الإسلامية، مستندة في حملتها العسكرية هذه على العامل الديني بحجة نشر المسيحية في أرض الجزائر وبالتالي تحقيقها للأهداف التي كانت تسعى إليها من وراء عملية التبشير هذه والمتمثلة في: [3]

- رغبتها في تنشئة جيل يدين بالولاء للدولة التي تحمي المدرسة التبشيرية.
- القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية والعمل على نشر لغة المستعمر في أوساط الشعب الجزائري. [4]
- تدعيم الغزو العسكري بغزو روحي ديني.

---

(1) التنصير: حركة دينية سياسية استعمارية غربية لها أهدافها ومخططاتها وأرصدتها وتهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي.... ينظر إلى: عبد الفتاح إسماعيل غراب، العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص10.

(2) أحميدة عميراوي وآخرون، السياسة الفرنسية، المرجع السابق، ص103.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص383.

(4) صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر، 1989، ص204.

- محاربة القرآن الكريم باعتباره السد المنيع الذي أفشل كل مخططاتهم الاستعمارية للإحتراق المجتمع الجزائري.
- إعادة إحياء الديانة المسيحية في الجزائر كما كانت قبل الإسلام وجعل الجزائر بوابة لنشرها في إفريقيا. (1)

ولكي تنجح فرنسا في تجسيد مشروعها التنصيري بالجزائر، قامت بإرسال بعثات تبشيرية لاستكمال عملها أو المهمة التي جاءت من أجلها، حيث قام هؤلاء المبشرون بدورهم بعملية التمسيح الكلي للمظاهر الدينية، وبناء الكنائس والأسقفيات التي تعمل على نشر التعاليم المسيحية كما قاموا بالعديد من الأعمال التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- غلق الزوايا بحجة أنها كانت محرضة للثورة.
- هدم المساجد وتحويلها إلى كنائس بحجة إقامة الشعائر الدينية المسيحية فيها (2).
- السيطرة على الأوقاف بهدف قطع الموارد المالية على المؤسسات الدينية من جهة وتحطيم اقتصاد البلاد من جهة أخرى (3).
- إخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي بعد قرار أكتوبر 1830م الذي جاء به الجنرال كلوزيل.

كذلك من العوامل التي ساعدت هؤلاء المبشرين في إنجاح مهامهم التبشيرية في الجزائر، هو استغلالهم للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها الجزائر من

(1) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص29.

(2) أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص105.

(3) خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830- 1871، دار حلب الجزائر، 2013، ص31.

فقر وبؤس وكذا المجاعة التي شهدتها سنتي (1866- 1868م) حيث كان هؤلاء المبشرين يقومون بالعمل الإحساني بين أفراد المجتمع، فلم يسلم من أعمالهم هذه أي فرد فقد اهتموا بالكبار وقربوا إليهم الفقراء مثلما تقربوا من الأغنياء، واعتنوا كذلك بالمرأة وشؤونها، كما اهتموا بالرجل وأعماله وتبادلوا الحديث مع الأمي البسيط كذلك.

كما انتحل هؤلاء المبشرين أدوار عديدة منها الطبيب والمعلم والكاتب والحاكم.... حيث يقول أحد المبشرين الفرنسيين: ".....عندما نربح ثقة الشعوب بواسطة الأعمال الخيرية وتعليم الأطفال فإن كل شيء سيكون على ما يرام، اليوم الموعود كالثمرة الناضجة تسقط وحدها بدون أي هزة من الإنسان أو غيره لكي يهب نفسه إلينا ..."[1].

فقد كانت غاية المبشرين هي الوصول إلى الصحراء الإفريقية والسودان وذلك عن طريق عين صالح وبالتالي نشر المسيحية في وسط إفريقيا بين الأقوام الذين يعبدون الأصنام[2]،وفي عام 1878م أوصت الإدارة الفرنسية بأن يكون طريق المبشرين الآخرين هي ورقلة (جنوب الجزائر) من أجل التقرب من التوارق سكان الصحراء[3] لأنهم كانوا يسيطرون على إقليم الجنوب ككل، واستمالتهم ستخدم الإدارة الفرنسية ذلك عن طريق مختلف الجمعيات التي توافدت إلى الجزائر بعد الاحتلال والتي كانت تستمد قوتها من

(1)عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي وردود الفعل الوطنية 1830- 1962م، منشورات سيدي نابلي، الجزائر، 2013، ص147.

(2)حليمة زواوي، خال أوعيل، ليلى بوعكاز، استراتيجية الاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2014 – 2015، ص17.

(3) إبراهيم العيد شبي، دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013، الجزائر، ص34.

الفاتيكان ومن أهمها: جمعية أخوات القديس "فانسان دي بول" و "بنات الإحسان"، حيث اهتمت الجمعيتان بشؤون التعليم العمومي، وقاموا بإنشاء مدرسة بالأغواط التي تعتبر أول مدرسة في الجنوب، حيث كانت بدايتها تستقطب الأيتام ثم مع مرور الوقت أصبحت مدرسة لتعليم أبجديات التمسيح الفرنسي، وعممت هذه الأخيرة في كافة المناطق الجنوبية منها ورقلة 1873م، تقرت 1878م، المنيعة سنة 1880م، البيض 1890م[1].

ولعل من أشهر الشخصيات التي نشطت في ميدان التنصير في الجزائر هو الكاردينال لافيجري(Lavigerie)[2]،حيث بلغ في عهده ذروته، حتى لقب بأبي التنصير في الجزائر [3].

أدرج لافيجري في خضم نشاطه التبشيري بالجزائر مخططا تفصيليا لتوسيع دائرة نشاطه انطلاقا من الجزائر صوب الصحراء وصولا إلى إفريقيا السوداء، فالجزائر في نظره باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يسكنها العديد من الأنفس التي تنتظر الهداية والرشاد المسيحي، فقد اتضحت مراميه الهادفة إلى تمسيح الصحراء منذ تعيينه مندوبا رسوليا للصحراء في 2 أوت 1868م، حيث كتب إلى جمعية الدعاية المسيحية على الدين

(1)حليمة زواوي وآخرون، المرجع السابق، ص17.

(2)لافيجري: ولد شارل أنطوان مارشاللافيجري في 31 أكتوبر 1825، بمدينة وير قرب بايون على السفوح جبال البريني وهو الابن الأكبر في عائلة المكونة من أخ وأخين، تولى منصب رئاسة أسقفية الجزائر، أسس جمعية الآباء السيطى في عام 1868م، والتي استطاعت أن تؤسس العديد من المعاهد والمراكز التنصيرية في عدة أرجاء مختلفة في العالم، ينظر إلى: سارة بن علو، زهيرة كيدي، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية (1957_1962م)مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ،2016_2017 ، ص28.

(3)عبد القادر بوتشيشة، لافيجري والتنصير في الجزائر، مجلة آفاق علمية، م11، ع02، الجزائر، 2019، ص656.

المسيحي ويشرح فيه أن حملته التبشيرية بالجزائر موجهة لاسترجاع النفوذ المسيحي الفرنسي الروماني قديما بالمنطقة وهو الأمر الذي يعد واجبا لا يمكن التفريط فيه [1] ، لذلك كان لزاما عليه أن يبعث ثلاثة من الأخوات البيض [2] نحو الأغواط للتعرف على طبيعة المنطقة وكان ذلك في ديسمبر 1870م، ورادفت الحملة هذه بإرسال اثنين من الآباء اليسوعيين وهما الأب روشي (Rochier) والأب أوليفي(Olivier)، فرسما الأهداف الأولية الكامنة أساسا في ضمان الممارسة الدينية المسيحية وتحضير انتصاب مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى[3].

وبعد أن أسس لافيجري للآباء مراكز بالصحراء عمل هؤلاء رفقة الأخوان البيض الذين جاؤوا لبث سموم التبشير باستعمال نفس الوسائل المستعملة بمنطقة القبائل منها (التطبيب، التعليم وكذا الأعمال الخيرية)، ففي غرداية فتح الآباء مدرسة تكوينية لتعليم الشباب صناعة الجلود، وبورقلة فتحت الأخوات مركزا تكوينيا لتعليم البنات الطرز، وفي الجلفة فتحوا مصنعا للحلفاء وورشة لصناعة السلل والقطن، ولم يهمل الآباء والأخوات البيض العمل الزراعي كذلك.

(1)سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر، 1867 – 1892، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص337.

(2)الأخوان البيض، كان أول تطوع في هذه الفرقة ثلاثة من رجال الدين بالمدرسة الإكليريكية بالقبة وقد نصحهم بذلك الأب من فرقة اليسوعيين، حيث وجه لافيجري يوم 10 ماي 1869م، نداء إلى كل المدارس الإكليريكية بفرنسا إلى الانضمام إلى هذه الغرفة والوقوف أمام تقدم الإسلام حيث وضع لها 3 قواعد فأصبحت تعتمد عليها.

–وأن يكون شعارها كذلك المحبة والتكتل لتحقيق الأهداف التبشيرية وتأسيس عدة مراكز تبشيرية في منطقة القبائل والصحراء، ينظر إلى: "خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1871م، المرجع السابق، ص128–129.

(3)حليمة زواوي وآخرون، المرجع السابق، ص19.

كما لا يتوقف نشاط لافيجري عند هذا الحد في مناطق الجنوب، حيث قام بتأسيس حركة تنصيرية مسلحة لجمعية الأخوان البيض، تدعى بجمعية إخوان الصحراء المسلحين[1] حيث تأسست سنة 1891 ببسكرة، فقد كان يدّعي مؤسسها أن مهام هذه الجمعية "يقتصر على مكافحة تجارة الرق في إفريقيا، لكن الحقيقة من وراء ذلك هي حماية المنصرين والحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح خاصة بعد ما قام به أهل الجنوب، حيث قتلوا جماعة من المنصرين الذين أساؤوا إلى الدين الإسلامي واستفزوهم بعقيدتهم كالأب بولمبي(Boulombie)والأب هينوري(Hinouri) والأب بوشو(Bouchou)، والهدف الآخر من إنشاء هذه الحركة كذلك هو استكشاف الصحراء وتسهيل وصول العسكريين فيها لبسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء[2].

كذلك ومن بين أهم الشخصيات التنصيرية التي نشطت في الجزائر أيضا هو الراهب الجاسوس شارل أوجين دوفوكو CHAREL OUGINE DOVOKO[3]،حيث يعتبر من أهم رواد الاستكشاف في الصحراء الجزائرية وأخطر المبشرين القاطبة، فيعد تواجده بالجزائر كالاستمرار لمشروع الكاردينال لافيجري التبشيري الذي بدأ خلال منتصف القرن 19م.

(1)إخوان الصحراء المسحيين: أسسها لافيجري لنشر تعاليم الإنجيلبسكرة عام 1891م، وكانت مهمة رجال هذه الجمعية هو حماية المبشرين عندما يقومون بمساعيهم التبشيرية.... ينظر إلى: سارة بن علو، زهيرة كيري، المرجع السابق، ص29.

(2)حليمة زواوي وآخرون، المرجع السابق، ص19.

(3)شارل أوجين دوفوكو: ولد في 15 سبتمبر 1858، كان راهبا وقسيسا كاثوليكي، عاش فترة من عمره في التوراق في الصحراء الجزائرية بهدف نشر الدين المسيحي فيها، اغتيل في عام 1916، نقلا عن كمال بن صحراوي، حركة التنصير في الجنوب الجزائري جهود شارل دوفوكو، م3، ع4، يناير 2020، ص263.

فقد كانت أول زيارة له بالجزائر 1880 ضمن فرقة عسكرية للخيالة التي أرسلتها مدرسة سومير (Saumur)، حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف، ثم رجع مرة ثانية سنة 1883، فكانت الجزائر نقطة انطلاق وعودة في رحلته إلى المغرب، وفي سبتمبر 1885 عاد إلى الجزائر مرة ثالثة ومكث فيها عدة أسابيع كذلك، حيث زار مدنا عدة منها وهران، الأغواط، غرداية، ورقلة وتقرت ثم مدينة قابس بتونس وعاد منها إلى فرنسا في 13 جانفي 1886 ثم انتقل بعدها إلى فلسطين وسوريا ليمارس عملية التبشير فيها[1].

وفي 9 جوان 1901 عاد دوفوكو إلى الجزائر، وعين قسا لها ليختار العيش في صحراء الجزائر، وبالضبط في قصر بني عباس، وذلك لعدم وجود رجل دين مسيحي يقوم بالطقوس الدينية وسط الجنود حيث أقام ديرا للعبادة وخصص فيه حجرات صغيرة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، كما باشر بتقديم الخدمات الطبية للسكان خاصة أن منطقة بني عباس منطقة نائية.

وفي سنة 1904 اتجه نحو الهقار وتوغل وسط السكان العزل لينجح أكثر في تنصيرهم، وابتداء من أوت 1905 استقر في تمنراست أين قضى معظم أوقاته محاولا التقرب من التوارق، حيث تعلم لهجتهم لينجز معجم من الفرنسية إلى التارقية، ومن التارقية إلى الفرنسية [2].

(1)أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص119،

(2) سارة بن علو، زهيرة كيري، السياسة الفرنسية لعضل الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص31.

ومن أشهر أعماله اختطاف طفل من بني عباس لينشئه تنشئة مسيحية وأطلق عليه اسم "بول مارابو"، حيث قام هذا الأخير بالتمرد على دوفوكو بعد بلوغه سن الرشد وغير اسمه إلى مبارك مرابط وانضم إلى إخوانه في الثورة [1].

وفي سنة 1907 حلت المجاعة بتمنراست، فاستغل دوفوكو الوضع من أجل كسب ود السكان، فقام بتقديم المساعدات من قمح وشعير وتمر على النساء والأطفال، فحضي باحترامهم وحبهموتقربوا إليه بذلك [2].

كما سطر دوفوكو برنامجا يحقق أطماعه الاستعمارية والتوسعية، حيث تمثلت في تقديمه للمساعدات على المحتاجين والفقراء سعيا لاستدراجهم للمسيحية وأخذ المعلومات منهم، كما قام بمحاربة اللغة العربية وطمسها في الهقار، كما عرقل كذلك بناء المساجد والزوايا و عمل أيضا على إغراء الشاب التارقي بإرساله إلى فرنسا وذلك لكي يظهر له الفرق بين العيش في فرنسا ونعيمها والعيش في الهقار جحيمها

إلا أن ظنه قد خاب وذلك بسبب الزحف الفرنسي على منطقة التوارق وإقامة الثورات بين الجيش الفرنسي وسكان الهقار.

(1) إبراهيم سياسي، قباسات من تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص136.

(2)إبراهيم مياسي، قباسات من تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، ص136.

وفي سنة 1916 كان هجوم السنوسية قويا ضد القوات الفرنسية المتمردة في جانت وانتهت بقتل دوفوكو بعد أن تسلل بعض الثوار إلى برجه وأطلق النار عليه وبعد مقتله واصلت مجموعة من الأخوة الزرق التي خلفها دوفوكو نشاطها في ملجأ الاسكرام[1].

وبهذا تكون فرنسا قد اعتمدت على الجانب الديني ورجال الدين المنصرين في عملية التوسع وتثبيت أقدامها بالجنوب الجزائري.

2. مشروع أبطال فريضة الجهاد:

أدركت السلطات الفرنسية أن الدين الإسلامي هو العامل القوي الذي جعل الشعب الجزائري يدافع عن أرضه ومقدساته تحت لواء الجهاد، لذلك عملت السلطات الفرنسية على تشتيت الصف الجزائري بتحويل عامل الدين الإسلامي من وسيلة دفاع من الوطن إلى وسيلة إقناع بقبول الوجود الفرنسي وبذلك يمكن تقديم نموذجين:

النموذج الأول: رحلة ليون روش إلى الحجاز سنة 1841م

نظرا للانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر في مقاومته للقوات الفرنسية تحت لواء الجهاد يقوم الجنرال "بيجو" بتعيين "ليون روش" في سنة 1841م للقيام بمهمة خطيرة جدا وإصدار فتوى من العلماء المسلمين تبطل فريضة الجهاد، فاتصل روش بالأطراف المعادية للأمير عبد القادر آنذاك وعلى رأسهم شيخ الزاوية التجانية التي كان الأمير قد حاصرها في سنة 1838م لوقوفها جانب فرنسا، وفعلا تمكن من إقناع التجاني بمهمته وهو ما أدى بهذا الأخير إلى استدعاء العديد من الرؤساء والشيوخ بمرافقة روش في رحلته نحو

(1) سارة بن علو، زهيرة كيدي، المرجع السابق، ص32.

الحجاز، وبعد أن تشكلت هذه البعثة أسندت رئاستها إلى روش وفي طريقها مرت بالعديد من المدن التونسية كصفاقس وقابس والقيروان وبمساعدة القنصل الفرنسي في تونس تمكن من إقناع مجلس علماء القيروان بالمصادقة عليها، ثم اتجه نحو مصر حيث وافقوا عليها علماء جامع الأزهر وختم رحلته بالوصول إلى الحجاز حيث صادق علماء الطائف ومكة عليها[1].

خلاصة ما جاء في هذه الفتوى هي دعوة الجزائريين إلى مهادنة الفرنسيين وعدم التعرض للكفار الذين غزوا بلادهم أو أراضيهم بالقوة كما أنها تضمنت منعهم من الهجرة خارج ديارهم ولا يمكنهم حمل السلاح ما داموا عاجزين عن إخراجهم من الجزائر بالقوة [2].

النموذج الثاني: فتوى أهل قورارة سنة 1893م:

حيث أصدرت هذه الفتوى لخنق حركة المقاومة وخلق أطراف موالية لها في الصحراء الجزائرية مستغلة في ذلك الاختلافات بين الطرق الصوفية ونظرتها للاستعمار الفرنسي حيث تمكن المقدم العام بالجزائر "جول كامبون" من إصدار فتوى خلال موسم الحج لسنة 1893م، عندما كلف أحد الحجاج الجزائريين وزوده بالهدايا للاتصال بشيوخ المذاهب السنية المقيمين في مكة المكرمة والحصول منهم على فتوى حول موضوع الهجرة، مقلدا بذلك ما فعله ليون روش، وكان غرض المقدم العام من هذه الفتوى هو استخدامها لمد نفوذ فرنسا في

(1) أحميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 88.

(2)يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، 1832 – 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص41

واحات توات ولمجابهة حركة الهجرة التي بدأت تظهر في الأفق في مختلف المناطق شمال البلاد [1].

المبحث الثاني: المشاريع الثقافية

- **التعليم:**

بعد الاحتلال مباشرة حاولت السلطات العسكرية على تنظيم تعليم خاص بالجزائريين [2] بإصدارها القرار سنة 1848م ألحقت مصالح التعليم العربي الإسلامي ومؤسساته الجزائرية وقامت بالاستيلاء على جميع الأوقاف الإسلامية في سائر القطر الجزائري واستكمال احتلالها الفكري واللغوي والثقافي بعد استكمال احتلال ترابها[3].

وعلى هذا الأساس أنشأت الإدارة الفرنسية في بعض المدن الجزائرية ما عرف بالمدارس العربية الفرنسية[4]، لتكوين شريحة طلابية تفكر وفق مناهجه الاستعمارية[5].

وهذا حسب تعبير لافيجري نفسه بقوله: "ليس الهدف من فتح المدارس في شمال إفريقيا هو أن نكون عقولا مثل فولتير ومونتسكيو أو جان جاك روسو إنما الهدف من

(1)جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص262-264.

(2)صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص175.

(3)أحمد عيساوي، واقع التربية والتعليم في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة آفاق الثقافية والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، ع50، 2005، ص48.

(4)عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830- 1962)، سلسلة المعرفة، علوم اجتماعية، كتب جامعة متعددة، التخصصات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص108.

(5)أحمد مهساس، التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، مجلة الثقافة، ع85، ماي، جوان 1985، ص60.

السياسة هو أن نبدل لغة بلغة ودين بدين وعادات بعادات وتقاليد بتقاليد"[1].

وقد تكونت هذه المدارس من قسم واحد للتعليم كان يتداول عليها معلمان أحدهما للعربية وهو جزائري والآخر فرنسي وقد عرفت الفترة (1870-1880م) تقلص في عدد المدارس الذي انخفض من 38 مدرسة إلى16مدرسة وعدا ذلك فالتعليم الفرنسي في الجزائر لم يمس الطبقات الشعبية إلا نادرا [2] وقامت أيضا باستبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية في الإدارة الجزائرية[3].

وقد شجعت الولاية العامة على توسيع دائرة التعليم الفرنسي في الجنوب قصد إدماج أهلها بعد ما أطفأت فيه وعيه وثبتت في ذهنه أفكار دخيلة بواسطة الترغيب والترهيب وغرست فيه عادات جديدة في التفكير والشعور والعمل[4] وهذا باتخاذ المدرسة هي الوسيلة الناجعة والمفضلة لتحقيق الإدماج السياسي والاجتماعي للمستعمرة في الكيان الفرنسي[5]، وذلك بعد تحطيم بنية المجتمع الجزائري والقضاء على الأسس المادية والروحية التي يقوم عليها بمحاصرة الشعور الديني ومحاربة اللغة العربية[6].

(1)أحمد مريوش، السياسة الفرنسية في الجنوب وردود الفعل الوطنية ما بين 1900- 1930، مجلة المصادر، ع20، السداسي الثاني، 2009.

(2)عمار هلال، المرجع السابق، ص61.

(3)صالح فركوس، الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814ق.م- 1962م، مطبعة المعارف، 2015، ص178.

(4)أحمد مريوش، المرجع السابق، السداسي الثاني.

(5)عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص94.

(6)ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص20.

فأقامت نظاما تعليميا فرنسيا جديدا بكل شيء من حيث اللغة والبرامج فهو يعتبر امتدادا طبيعيا لنظام تربوي بفرنسا ولكنه كان موجه لفئة تخدم مصالحها كمترجمين وقضاة وكتاب وإداريين يسهرون على خدمة السلطات الفرنسية وهنا يتجلى مظهر الفرنسية.

فما يؤكد طابع الفرنسية والإدماج في السياسة الفرنسية التعليمية كانت ليس هناك وجود للثقافة العربية إلا الشيء القليل بعدما دمرت مراكزها فالتعليم الابتدائي الذي تتكون فيه شخصية المواطن كانت به مادة التاريخ الجغرافيا بالجزائر كمادة أقل أهمية من تاريخ وجغرافية فرنسا التي تدرس طوال السنة حتى يجهلون تاريخ وطنهم وجغرافيته ويكونوا منفصلين عن العالم الإسلامي[1].

ولإنجاح سياستها الثقافية الاستعمارية اعتمدت على الأساليب والوسائل الآتية:

1. حصر تعليم الجزائريين في أقل الحدود وأضيقها.
2. التقليل من إنشاء المدارس الخاصة بالجزائريين في مراحل التعليم المتعددة.
3. خفض ميزانية التعليم الخاصة بالجزائريين إلى أقل حد ممكن.
4. الاهتمام بالتعليم النظري على التعليم المهني والفني التطبيقي.
5. تشجيع الأوروبيين على التعليم بفروعه وجعل الأفاق والمجالات الواسعة أمامهم وغلقها أمام الجزائريين.

(1)أحمد بوعافية، التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830م-1962م، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017- 2018م، ص39.

6. وضع كل الشروط القاسية أمام الجزائريين في الامتحانات والمسابقات وذلك لعرقلتهم[1].

7. فرض مصاريف تعليمية باهضة بعد المرحلة الابتدائية المجانية، تفوق كل إمكانات معظم الجزائريين وطاقتهم المحدودة والضعيفة.

8. إصدار القوانين والقرارات التي تقلص من مكانة الثقافة الإسلامية واللغة العربية وعلى رأسها قرار 1892/10/19م، القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة عربية لتدرس اللغة العربية، والدين الإسلامي، الذي تدعم بقانون 1904/12/24م الذي يحظر على أي جزائري أن بفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص من عامل العمالة الفرنسي في المناطق الشمالية التي تخضع للحكم المدني أو في المناطق الجنوبية الصحراوية التي تخضع للحكم العسكري المباشر[2].

(1)أحمد عيساوي، واقع التربية والتعليم في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، ع50، جويلية 2005م، ص49.

(2)أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص50.

المبحث الثالث: المشاريع الاقتصادية

مشروع السكة الحديدية:

بعد فرض الاستعمار الفرنسي السيطرة العسكرية على الشمال الجزائري وبعض واحات ومدن الصحراء، انتق للتنفيذ على أرض الواقع، الإستراتيجية الاقتصادية لاستغلال وتحويل خيرات الجزائر نحو المتروبول الفرنسي والأسواق الدولية[1].

وتتمحور هذه الإستراتيجية في وضع منظومة متكاملة تهكيل المجال الجزائري وفق ثلاث مركبات ومفاصل أساسية لتحقيق الأهداف المحددة، وهي تتمثل في ربط المناطق الاقتصادية للجزائر (المناجم، المزارع) بأهم المناطق الرئيسية القريبة منها مثل: ميناء عنابة، سكيكدة في عمالة قسنطينة، ميناء الجزائر في عمالة الوسط وميناء وهران في عمالة الغرب، وذلك عبر شبكة من السكك الحديدية التي صممت لأغراض عسكرية واقتصادية استعمارية تمتد عبر الخط العرضي الذي يربط تونس بالمغرب عن طريق الجزائر لتتفرع منه خطوط نحو الموانئ والصحراء[2].

وإن ظهور فكرة إنشاء شبكة من السكك الحديدية في الجزائر يعكس الاهتمام الفارط للإدارة الاستعمارية ونية الاستيطان فيها، حيث مثلت السكك الحديدية للإدارة الاستعمارية سياسة ناجحة في استيطان المعمرين وانتشار نفوذهم في الجنوب الشرق والغرب بالإضافة

(1)أحميدة عميراوي، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري، المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الجزائر، 2007، ص68.

(2)المرجع نفسه، ص68.

إلى طالبت الإدارة العسكرية بضرورة إنشاء شبكة السكاك الحديدة كطرق سريعة ومضمونة لنقل الوحدات العسكرية نحو مناطق الثورات[1].

وبعد توسع الفرنسيين في الجنوب الجزائري رأوا بأن هذه المناطق الصحراوية معزولة في اتصالاتها مع المناطق التلية بسبب ضعف شبكة طرقاتها البرية والتي كانت في أغلبها عبارة عن مسالك ودروب قديمة، لهذا أولو اهتمامهم بموضوع المواصلات فقاموا بدورهم بإنشاء طرق برية وكذا سكك حديدية لتحقيق أهدافهم المتمثلة في[2]:

- التعرف على هذه المناطق المترامية الأطراف واقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، واستكشاف المظاهر الجغرافية المختلفة للصحراء كما اقترن أيضا بدراسة المجموعات السكانية والتعرف على عاداتها وتقاليدها، وتاريخها السياسي والحضاري، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية، لتتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية في الجنوب[3].

(1)رضا حوحو، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار(1830- 1914)، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الحديث والمعايير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الشرعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004- 2005، ص45

(2)يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص330.

(3)رضا حوحو، شبكة الطرقات الفرنسية في الجزائر القرن 19م، ظاهرة حضارية أم أداة عسكرية 1830- 1900، أطروحة شهادة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، قس تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2017- 2018.

- العمل على ربط المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا بنظيراتها في إفريقيا الغربية عن طريق الصحراء بشق طرق صحراوية تكون في مستوى منافسة الطرق التي عمل على شقها الاستعمار الإنجليزي[1].
- خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا.
- الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء[2].

ويعود تاريخ مد السكك الحديدية بالجزائر إلى النصف الثاني من القرن 19م حينما نقل الحاكم الفرنسي "راندونRandon"[3] المرسوم المتعلق بالسكات الحديدية للجزائر[4]، وتجسدت من خلال عدة برامج تشريعية ومالية لتحقيق الفكرة، بداية الأمر [5] أصدر مرسوم 21 أفريل 1857م المتعلق بإنشاء شبكة من خطوط السكك الحديدية تربط المناطق والمدن الداخلية بالموانئ:

(1)عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص100.

(2)أحميدة عميراوي وأخرون، المرجع السابق، ص79.

(3)المارشال راندون: (1795- 1871) ولد في مدينة غرونيل التحق إلى رتبة ملازم أول، ثم قائد سرب في 1830، كان وزيرا للحربية 1851- 1859م- 1867م ثم حاكما عاما للجزائر (1851- 1852) وماريشال فرنسا سنة 1856م، أنظر: مصطفى عيد، الجزائر في كتابات توماس أوريان، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008، ص101.

(4)زريبي حسيبة، أثر الموانئ الجزائرية في الاقتصاد الكولونيالي، 1830- 1914، مذكرة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قطب شتمة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014- 2015، ص68.

(5)ضيف الله شلالي، دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر، الجلفة نموذجا 1857- 1962، مذكرة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011- 2012، ص130.

خط يربط الشرق بالغرب من قسنطينة إلى شمال تلمسان مرورا بالجزائر وسيدي بلعباس ووهران، تخرج من هذا الخط الرئيسي خطوط فرعية تربط إليه بونة وسكيكدة وبجاية وسطيف والشلف ومستغانم وأرزيو وغليزان[1].

ويعود إنشاء أول خط للسكك الحديدية في الجزائر إلى سنة 1862م وأن فكرة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ترجع إلى المهندس "دو بون شال De buonchel"[2] الذي قدم أول الدراسات للمشروع سنة 1874م والتي أشار من خلالها إلى إمكانية فتح خط للسكة الحديدية يسمح لفرنسا والجزائر بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها[3].

ومما لا شك فيه أن مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء من المشاريع الضخمة ذات فوائد عديدة وتمثل وجهات نظر ثلاثية، سياسية، اقتصادية، حضارية بالنسبة للمصالح الاستعمارية، إلا أن السكك الحديدية في الجزائر عموما، وفي الصحراء خصوصا من أولويات السياسة الفرنسية في الجزائر، وحاجاتها لإقامة طرق ووسائل اتصال سريعة، ولأهمية المشروع اهتمت بدراسته الغرفة التجارية بمرسيليا حيث أن وزير الأشغال العمومية فريستيانFristien قد كان مرتبطا برؤوس الأموال بمرسيليا الشيء الذي شجعه في سنة 1879م على تأسيس اللجنة الحديدية الصحراوية ومنح ثلاثة مليون فرنك ذهبي لثلاث

(1)بوذراع إيمان، آثار سكة الحديد الفرنسية في استعمار المناطق الداخلية (1857- 1914)، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، ص29.

(2)هو السيد أودلفدوبون شال ولد فلوراك سنة 1821م، مهندس أول للجسور والطرقات، نشر عدة أعمال تحتوي على أفكار أصلية وممتازة ومن أهم أعماله كتابه حول مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء، أنظر حليمة زواوي، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، المرجع السابق، ص49.

(3)حليمة زواوي، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، المرجع نفسه، ص49.

بعثات علمية لدراسته وهي على النحو التالي: البعثة الأولى يترأسها "بوريان" مهمتها رسم السكة بوهران نحو توات والبعثة الثانية أشرف عليه "شوازي" قدمت دراسة جيولوجية شاملة لمنطقة وادي ريغ، أما البعثة الثالثة كلف بها الكولونيل "فلاترس" ويمتد طموحها إلى ما وراء الحدود والتي أدركها الاحتلال الفرنسي، وقد اقتنع "دوبون شال" البرلمان الفرنسي بالمصادقة على مشروع إنشاء ثلاثة خطوط رئيسية لهذا المشروع، وقد أثمرت الأبحاث خلال النصف الأول من القرن 20م بظهور ثلاث خطوط حديدية رئيسية هي:

1- **الخط الأول:** يمتد من قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت.

2- **الخط الثاني:** يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

3- **الخط الثالث:**يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار[1].

(1)أحميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص92-99.

الخلاصة:

وكخلاصة لهذا الفصل نستنتج أن هدف فرنسا من وراء تجسيدها لهذه المشاريع الدينية، الثقافية، والاقتصادية هو:

- **بالنسبة للمشروع الديني:**نشر الديانة المسيحية في كامل ربوع الوطن والقضاء على الإسلام.
- **بالنسبة للمشروع الثقافي:**جعل اللغة الفرنسية رسمية وتعميمها في كامل مدارس الوطن.
- **بالنسبة للمشروع الاقتصادي:** تسهيل عمليات تنقل القوات العسكرية وكذا ربط المستعمرات الفرنسية بين الشمال والجنوب.

الفصل الثالث:

مشروع البحر الصحراوي الداخلي

1874، الأهداف و الأبعاد.

لقد أدت الظروف الطبيعية القاسية للصحراء بالفرنسيين إلى البحث عن وسائل تمكنهم من التأقلم مع هذا الإقليم، فكان الهدف هو إحداث تغير جذري في الظروف المناخية القاسية للصحراء وتوصلت الدراسات العديدة التى قام بها المختصون الفرنسيون إلى مشروع عرف "بالبحر الداخلي".

المبحث الأول:دوافع المشروع:

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كبيرة في احتلالهم وذلك بسبب صلابة مقاومة السكان من جهة، و قساوة الطبيعة المتمثلة في شدة الحرارة و الجفاف و تباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض من جهة آخرى[1] فهذا ما أدى بالفرنسيين إلى البحث عن وسائل تمكنهم من التأقلم أكثر في هذا الإقليم و بالتالي تسهل عليهم عملية التوسع فيها. [2]

فبعد نجاح فيرديناندولسيبس(Ferdinand delessepes) في حفر "قناة السويس" سنة 1869م، وكذا شروعه في اعدد مشروع قناة "باناما" بأمريكا الوسطى لربط المحيط الأطلسي بالمحيط الهادي، برز مغامر فرنسي آخر في تلك الفترة من سنة 1873 بمشروع آخر تمثل في شق قناة جديدة في شمال افريقيا، هذا المغامر هو فرانسوا ايلي رودير Francoieiliroudaire حيث تمثل مشروعه هذا بفتح قناة تربط شط الجريد التونسي بالبحر المتوسط مرورا بشط ملغيغ بالجزائر وهو ما عرف بمشروع "البحر الداخلي الصحراوي".[3]

فقد أكد رودير أن هذا المشروع سيعود بالفائدة على تعديل المناخ المحلي، وبالتالي تسهيل سبل الاستعمار و الاستغلال الاقتصادي لإمكانيات الصحراء المادية و البشرية.

---

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر و العشرين**، المرجع السابق، ص 338.

(2) Hocine ben djedou, Réne , **comité Francaise d'histoire de la géologie**, 3emeseus, T1999 séance 17 mars pp 10. 11.

(3) يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر و مشروع قناة قابس و البحر الافريقي**، مجلة الأصالة، ع 25، منشورات وزارة الأوقاف الدينية، الجزائر، ماي، جوان 1975، ص 97.

و لإنجاز هذا المشروع الضخم وطد رودير صلاته بعدد من المغامرين، على رأسهم دولسيس لكي يستعين بهم، فتكونت في فرنسا هيبة خاصة لذلك وحددت منطقة الجريد التونسي كنواة لهذا المشروع "البحر الداخلي".

فتعتبر المنطقة المحصورة بين خليج قابس شرقا و جبال أولاد نايل، وهضبة ميزاب غربا وجبال الأوراس، و النمامشة وتبسة و الطهر التونسي شمالا وجبال مطماطة و الهقار جنوبا حوضا داخليا واسعا يدعى بالعرق الشرقي الكبير، حيث يشتمل على عدد كبير من الأحواض، و الشطوط الداخلية المالحة خاصة في الشمال الشرقي أهمها: منخفض الجريد بتونس الذي يشمل على شط فجاج وشط الجريد و شط الغرسة و لا يبعد كثيرا عن خليج قابس. (1)

فيشمل شط ملغيغ بالجزائر على شط عسلوج، و شط ملغيغ، وشط مروان، غرب منخفض الجريد و يمتد إلى الجنوب أحواض ملغيغ عدد كبير من الشطوط التي تعتبر جزء من منخفض وادي ريغ وحوض ايغرغر، الذي ينحدر في السفوح الشمالية لجبال الهقار و إلى الشمال الغربي من منخفض ملغيغ توجد في الهضاب العليا مجموعة الأحواض و الشطوط الداخلية المالحة حوض شبه مستقيم و مستطيل من الشرق إلى الغرب أهمها: شط الحضنة الزاغر الشرقي، الزاغر الغربي، الشط الشرقي الكبير، ومفصولة عن حوض ملغيغ بمرفقات جبال الزاب و الزيبان بين بسكرة و باتنة و حوض الحضنة. (2)

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص 339.

(2) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 37.

فقد ادعت بعض النظريات الجغرافية و الجيولوجية أن هذه الأحواض كانت تمثل عبر عصور ما قبل التاريخ، بحرا داخليا واحدا يدعي بحر أوبحيرة تريتون، حيث تحدث عنه الرحالة اليونانين أمثال هيرودوت، وسيلاكس، وله ثلاث منافذ إلى البحار المجاورة واحدة إلى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف و الثاني إلى المحيط الأطلسي عبر ممر تازة، و الثالث إلى خليج قابس بشرق تونس عبر شط نجاح، تم أن هذا البحر جفت بعض أجزائه وبقي البعض على شكل أحواض و شطوط وزواغر داخلية أهمها: مجموعة أحواض منخفض الجريد ومجموعة أحواض منخفض ملغيغ و مجموعة أحواض الهضاب العليا.

وتقع أحواض منخفض ملغيغ على انخفاض 25 مترا من مستوى سطح البحر و حولها مناطق سهلية واسعة ذات تربية رسوبية التكوين، و تنتشر بها مجموعة كبيرة من القرى العمرانية منها منطقة واد السوف. (1)

ومنه فإن الدافع الرئيسي لإنجاز هذا المشروع هو إحداث تغير في المناخ الذي سيؤدي بدوره إلى تغيير في الأوضاع الاقتصادية و العمرانية في الصحراء، كما سيساهم هذا المشروع بدوره في زيادة مداخيل الاستعمارية وذلك من خلل سهولة التبادل التجاري وحجم المبادلات، وكذا تنشيط الحركة السياحية و دعم الاستيطانبالصحراء من خلال تواجد الأوروبيين هناك بعد تغيير المناخ الصحراوي.

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، ..... ،المرجع السابق، ص 339.

المبحث الثاني: تجسيد المشروع و أهدافه.

شاعت فكرة عند بعض الجيولوجيين منذ القرن الماضي بأنه يمكن إيجاد بحر داخلي في هذه المنطقة، الهدف منه احداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية و المناخية القاسية للصحراء لتغيير أوضاعها الاقتصادية و العمرانية لفائدة السكان. (1)

ونواة هذا البحر الداخلي تكون في البداية مكونة من حوضين: شط الجريد وشط الغرسة وشط فجاج، التي توصل بخليج قابس شرقا عبر شط فجاج الذي يمثل الذراع الشرقي لمنخفض الكبير ولا يبعد عن الخليج إلا بحوالي 15 كلم، وذلك عن طريق حفر قناة بحرية إليه ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية حيث يوصل هذا البحر بأحواض منخفض ملغيغ بوادي ريغ في الغرب و بمنخفض حوض إيغرغر في الجنوب عبر واد سوف. (2)

وقد شرع رودير في وضع الدراسات حوله منذ عام 1873م، وخصصت الجمعية الوطنية الفرنسية في العام الموالي مبلغا ماليا لدراسة منطقة الشطوط دراسة علمية و سافر رودير من قسنطينة إلى بسكرة ثم إلى أحواض ملغيغ ودرس تاريخها وجغرافيتها.

وأهمية هذا البحر المقترح في إحداث التغيير المنشود، و المناطق التي سيغمرها طولا و عرضا و ارتفاعا و النتائج التي ستنجر عن احداثه و مواقف سكان المنطقة، ووضع عدد من الخرائط و الأشكال و المقاييس وفعل مثله دوليستر مهندس المصلحة

(1) يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر**،.....المرجع السابق، ص 99.

(2) شهرزاد شلبي، **الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائري**، مجلة كان التاريخية، ع 11، مارس 2012م، ص 84.

الطبوغرافية[1]ودوفيري مندوب الجمعية الجغرافية لدى بعثة رودير الذي درس مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية[2]، وتحدث "أوكتافساشو" عن فيضانات الصحراء وبحر الجزائر[3] ورغم أن رودير اكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر عكس أحواض ملغيغ وشط الحضنة إلا أنه لم يفقد الأمل في انجاز المشروع.

أعد "رودير" ملفا ضخما وقدمه إلى المجلس العلمي بالأكاديمية الفرنسية بباريس فحوله هذا الأخير إلى " ديليسيبس" صاحب مشروع قناة السويس بمصر، وعلى اثر تدشينها قاموا بدعوته إلى مصر، فاستحسنه وشجعه وتحمس له كثيرا ولكن الأول في المجلس العلمي و في البرلمان الفرنسي ولدى أصحاب رؤوس الأموال تضاربت تضاربا كثيرا وفي الأخير وافق البرلمان الفرنسي على اعتماد مالي جديد عام 1878م للقيام بدراسات جيولوجية جديدة في المنطقة يشترك فيها ديليسبس نفسه، و تألفت لجنة رسمية عامي 1881- 1882م، لدراسة التعقيدات المالية و المشاكل الأخرى التي تتعلق بالمشروع، ترأسها دوفريسينيDefreycient و اكتشفت أن التكاليف تزيد على ثلاثة كيلومترات و أن ما سيحفز من التربة يزيد عن ستة أضعاف ما حفر في قناة السويس. [4]

في هذه الأثناء سافر :رودير" و "ديليسبس" إللى منطقة قابس عام 1883م لدراسة المشروع على الأرض وعندما عاد من هناك برزت معارضة قوية للمشروع من طرف أعضاء الجمعية

(1) يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 83. 84.

(2) HenriDurveyrier, premier raport sur la mission des chatts du sahara de constantin, paris, 1875.

(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 84.

(4) يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص85.

الفرنسية لتقدم العلوم على رأسهم: أوفرست بوميل (A.Pomel) الذي يعرف الجزائر و تونس جيدا، فأكد عدم وجود أية صلة بين البحر وهذه الشطوط قديما و "كوسون(F.cosson")الذي يعرف الجزائر و تونس جيدا حيث قضى بها حوالي 32 عاما في استكشاف المنطقة، وقد اهتمت وزارة الخارجية الفرنسية بالموضوع فألقت لجنة خاصة لدراسة مشروع رودير الذي قدم لها و طرحته الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم للنقاش في دورتها 13 خلال مؤتمر "بلوه" حيث قدم كوسون دراسة عن الكشف العلمي الذي قامت به البعثة في تونس من الناحية الصحية و بعدها قدم الدكتور روير و المهندس جورج أولاين ولوتورنو(le tourneau) خريطتين عن المشروع المواصلان لهذا البحر الداخلي.

أما عن الدراسة التقنية للمشروع فتضمنت حفر قناة بطول 200 كلم، تربط بين خليج قابس وشط الفجاج وشط الجريد جنوب بلدة قفصة وشط رارسة شمالي بلدتي نفطة و التوزور، ثم شط ملرير جنوب بسكرة، وهو م يقتضي إزاحة 600 مليون م^3 من الأتربة و الحجارة، أي ستة أضعاف ما تم إزاحته لشق قناة السويس و هي الأشغل التي قدرت تكلفتها أنداك بـ 1.300 مليون من الفرنكات الذهنية ليتم بعدها عصر شطي رارسة و ملرير بـ 172 مليار م^3 من مياه المتوسط ليصل البحر الداخلي الصحراوي بعد 29 سنة إلى مستوى الطبيعي. [1]

ومن بين **أهداف هذا المشروع نذكره:**

- تسهيل عملية تنقل القوات العسكرية في ظروف حسنة و بالسرعة المطلوبة.

- التمكن من القضاء على المقاومات في الجنوب و إخماد الثورة.

(1) فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 11.

- ربط المراكز الاستعمارية ببعضها البعض على المستوى المحلي. [1]

- القضاء على الجفاف الحاد و العزلة الشديدة و التخلف الفظيع في المنطقة.

- التمويه على السكان المحليين بأن المشروع يعمل على ايصالالمرافق الحضارية إلى السكان العزل بسهولة. [2]

- تنشيط الاقتصاد الفرنسي و العمل على ازدهاره و خاصة قطاع الخدمات و المواصلات وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية و الباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية.

- تلطيف الجو ليسهل على الفرنسيين التوغل في أعماق الصحراء[3]

- السماح لسفن البحرية بالوصول إلى عمق الصحراء لإفراغ شحن حمولاتها المختلفة.

- تسهيل الاتصال بين أعماق الصحراء و العالم الخارجي و إيجاد مساحات واسعة خصبة لاستغلال الأراضي الزراعية بالصحراء.

- تحسين الجو من خلال رفع نسبة الرطوبة نتيجة تبخر مياه البحر.

- مساهمة الرطوبة في زيادة منسوب الأمطار النازلة سنويا.

- إقامة حاجز طبيعي قوي يقلل من قسوة الجو الصحراوي. [4]

المبحث الثالث: ردود الفعل الوطنية و الفرنسية من المشروع:

(1)آحميدةعميراوي و آخرون، المرجع السابق، ص 89.

(2)يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**....، المرجع السابق، ص 88.

(3)آحميدةعميراوي و آخرون، المرجع السابق، ص90

(4)يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 85.

أ- الوطنية:

- **الأمير عبد القادر يؤيد المشروع:** رغم أن الأمير عبد القادر كان بعيدا عن الميدان يعيش في منفاه بدمشق، إلا أنه عرض تأييده للمشروع فبعث رسالة إلى دوليسبس مهنأ و مشجعا له[1] وبعث رسالة لسكان قابس و المناطق المجاورة يحثهم على تأييد المشروع الذي سيغمر الكثير من أراضيهم، و قراهم العمرانية و أوضح لهم الأهمية التي ستنجم عن إنجاز هذا البحر، وحاول أن يدعم آراء و أفكار بآيات من القرآن الكريم و أحاديث من قول الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وقد رأى الفرنسيون بأن تأييد الأمير لمشروع البحر الداخلي كان تلقائيا وليس بإيعاز من أحد ولكن ديليسيس أعتبر تأييده بمثابة جواز مرور لإنجاز المشروع و إنجاحه[3] إن الأمير عبد القادر لو لم يطلب منه ذلك ما أمكن أن يقحم نفسه، ولا يمكن التسليم بدعوى الفرنسيين دون نقاش إلا عندما تظهر وثائق جديدة. [4]

ب- الفرنسية:

بعد موت رودير عام 1883م، تحمس ديليسيبس أكثر لإنجاز مشروع البحر الداخلي، حيث حاول أن يقنع جول فيري joles ferry رئيس الوزراء الفرنسي فلم ينجح في ذلك لأنه أبلغه بأنه لا يمكن له أن يعارض رأي الجمعية الفرنسية لتقديم العلوم، إلا أن ديلسيبس قرر أن

(1) Lexportation du Globe, journal des conquétes de la civrlisation sur tons des pointes, paris 24, 11- 1879, N° 19, p p 825- 826.

(2) L'Afrique excplorée et civrliseé, journal mensuel(genéve) Sulsse Novembre 1879, N°5 , pp 81- 82.

(4) Bulletin de la société de géographie commercial de paris, (paris 1882- 1883), p p 342- 343.

(4)يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**.....، المرجع السابق، ص 86.

يرسل المدعو لاند landa إلى الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم، فأغتنم ديليسيبس فرصة مأدبة المقاولين الفرنسيين يوم 30 أفريل 1885م، في فندق الكونتينانتال بباريس، فأعلن لهم بأنه سيغرق جنوب الجزائر و تونس بالمياه و أنه سيعلن في شهر جوان عن نداء لجمع 300 مليون فرنك للبدء في انجاز المشروع، و أنه سيحفر قناة قابس و قناة باناما بأمريكا كما حفر قناة السويس. [1]

– إلا أن هذا المشروع لقي معارضة شديدة من قبل المختصين في البيئة و الاقتصاد فالطرف الأول روج لفكرة استحالة انجاز هذا المشروع لأنه سيسحب مياه البحر المتوسط إلى الجنوب ما قد يتسبب في عودة أوروبا إلى العهد الجليدي بعد أن تنخفض درجات الحرارة في الصحراء،[2]

– أما الطرف الثاني، فقد أكد على ضرورة عدم صرف أموال باهظة على المشروع الذي قدرت تكلفته آنذاك بمليار فرنك فرنسي لذلك قررت اللجنة البرلمانية الفرنسية المختصة إلغاء تنفيذ المشروع رغم محاولات الاقناع الشديدة التي قدمها أصحاب هذا المشروع إلا أنه عام 1957 بعث من جديد حيث تألفت جمعية للأبحاث التقنية لدراسة البحر الداخلي أرتميس.

Association des recherche technique pour l’étu de des mer intérieure du sahara (A R. T. E. M.I.S)

(1)يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**.....، المرجعالسابق، ص 87.

(2)حليمة زواوي، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، المرجع السابق، ص 45.

فتزعم الكونت ايفيزميشالدوبيريدون(ivismicheldobiridoun) فكرة احياء مشروع رودير[1] وتمكنت الجمعية من إيصال ملف هذا البحر إلى مكتب ديغول (degaulle) عام 1958، و اقترحت استعمال 50 قنبلة هيدروجنية لشق قناة هذا البحر بين الواحدة و الآخرى بضعة ثوان على أن يكون عمقها 400إلى 500 متر ياردة، وعمقها من 105 إلى 2025 و الربع ياردة و تنجز هذه القناة و البحر في ظرف بضعة أشهور بدلا من ثمانى سنوات التي اقترحها رودير في القرن الماضي وبعد عام 1959 واصل التعدين الفرنسي (هيرنست) بحث الموضوع مع وزارة الأشغال العامة للحكومة التونسية، ولكن فرنسا كانت مشتغلة بثورة الجزائر ولم يكن باستطاعتها الاهتمام بأمر هذا البحر وبالتالي ظل هذا المشروع مجرد حبر على ورق نظرا للصعوبات التي لقيها من تكاليف باهظة و غيرها[2]

وكخلاصة قول لهذا الفصل يمكننا القول بأن هذا المشروع يعتبر من أهم المشاريع التي كانت فرنسا تسعى لتجسيده في صحراء الجزائر، كونه يجعل منها أرضا ملائمة للإمكانية العيش فيها و الاستقرار ربها كذلك تحقيقها لأهدف التي كانت تسير إليها.

(1)فوزية بن صوشة، المرجع السابق، ص 44.

(2)يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**.....، المرجع السابق، ص 88.

لكن هذا المشروع رغم ضخامته و شساعة المساحة التي كان يشغلها و الأهداف الايجابية التي كان سيحملها على الفرنسيين فإنه بقي حبر على ورق ولقي معارضة شديدة من بعض الفرنسيين.

خاتمة

خاتمة:

على ضوء دراستنا لموضوع المشاريع الإصلاحية الفرنسية في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م و اتخاذنا مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م كنموذج لجملة هذه المشاريع التي كانت تخدم مصالح المستعمر و غايته، و منه قد توصلنا إلى عدة نتائج تتمثل في:

- إن الصحراء الجزائرية بحكم مساحتها الشاسعة و ثرواتها الطبيعية المتعددة، و لهذا اهتم بها الأوربيون من خلال الكشوفات الجغرافية و شكلت أيضا عنصر جذب و اهتمام السلطات الاحتلال الفرنسي و هو ما جعلها تسعى لاحتضانها و تنفيذ مخططاتها و قد بدأت تتوغل إلى الصحراء من خلال رحلة روني كاييه الذي يعتبر أول أوروبي يتوغل إلى أعماق الصحراء الإفريقية، و قدم معلوماته الجغرافية و الحضارية القيمة و التي استفادت منها فرنسا في سياستها التوسعية الاستعمارية في الصحراء، لذلك قرر الفرنسيون التوسع في أعماق الصحراء الجزائرية و جعل أراضيها مناطق للنفوذ الفرنسي، فهي تعتبر نقطة إستراتيجية بالنسبة لفرنسا فتحت لها آفاق على العالم الإفريقي.
- و ككل إقليم من أقاليم الجزائر الرافضة لأي نوع من الاحتلال كان لسكان الصحراء ردود فعل عنيفة عبرت عن الرفض القاطع للاحتلال و تجسد ذلك في تلك المقاومات الشعبية التي انفجرت في مناطق عدة، و رغم شدة هذه المقاومات إلا أن المستعمر قد تصدى لهذه المقاومات و إصراره على السيطرة على الصحراء.

خاتمة:

- إن الصحراء الجزائرية قد تميزت بخصائص جمة من لغة و دين و تراث عميق جعله مستهدفا من طرف القوات الفرنسية سواء للقضاء على هويته و مقوماته أو لنشر ثقافته خاصة نشر الين المسيحي على حساب الدين الإسلامي و فرنسة سكانه.
- و لتحقيق فرنسا غايتها في الصحراء الجزائرية حاولت استغلال خيراتها التي تزخر بها فسطرت لذلك مشاريع عدة خاصة ما تعلق بالجانب الاقتصادي فمنها ما نفذ كمشروع السكة الحديدة لتستعين بها في نهب ثرواتها و تأمين إمدادها و قواتها العسكرية المنتشرة في كل المناطق وضواحي إقليم الصحراء.
- أما مشروع البحر الصحراوي كان أحد أهم المشاريع التي كانت فرنسا تسعى لتجسيدها في الصحراء و الذي يسمح بتخطي الظروف الطبيعية القاسية و يسهل عليهم عملية التوسع و التوغل فهو يعد من المشاريع الضخمة نظرا لتكلفته الباهضة و الإمكانيات الكبيرة التي قد يتطلبها في حالة الشروع لإنجازه.

و باختصار نقول أن هذا المشروع كان يهدف لجعل مناطق الصحراء جذب للمستوطنين بهدف تكريس و تقوية الوجود الفرنسي في عمق الصحراء الجزائرية و استغلال مساحتها بربط الشمال بالجنوب، لكن مشروع البحر الداخلي بقي حبرا على ورق لأنه لقي معارضة شديد من بعض الفرنسيين فهو يهدف إلى إيصال مياه البحر المتوسط بالشطوط المنتشرة بالصحراء عبر قنوات و هذا لوحده يكلف الخزينة الفرنسية هذا ما جعله غير قابل للتجسيد.

الملاحق

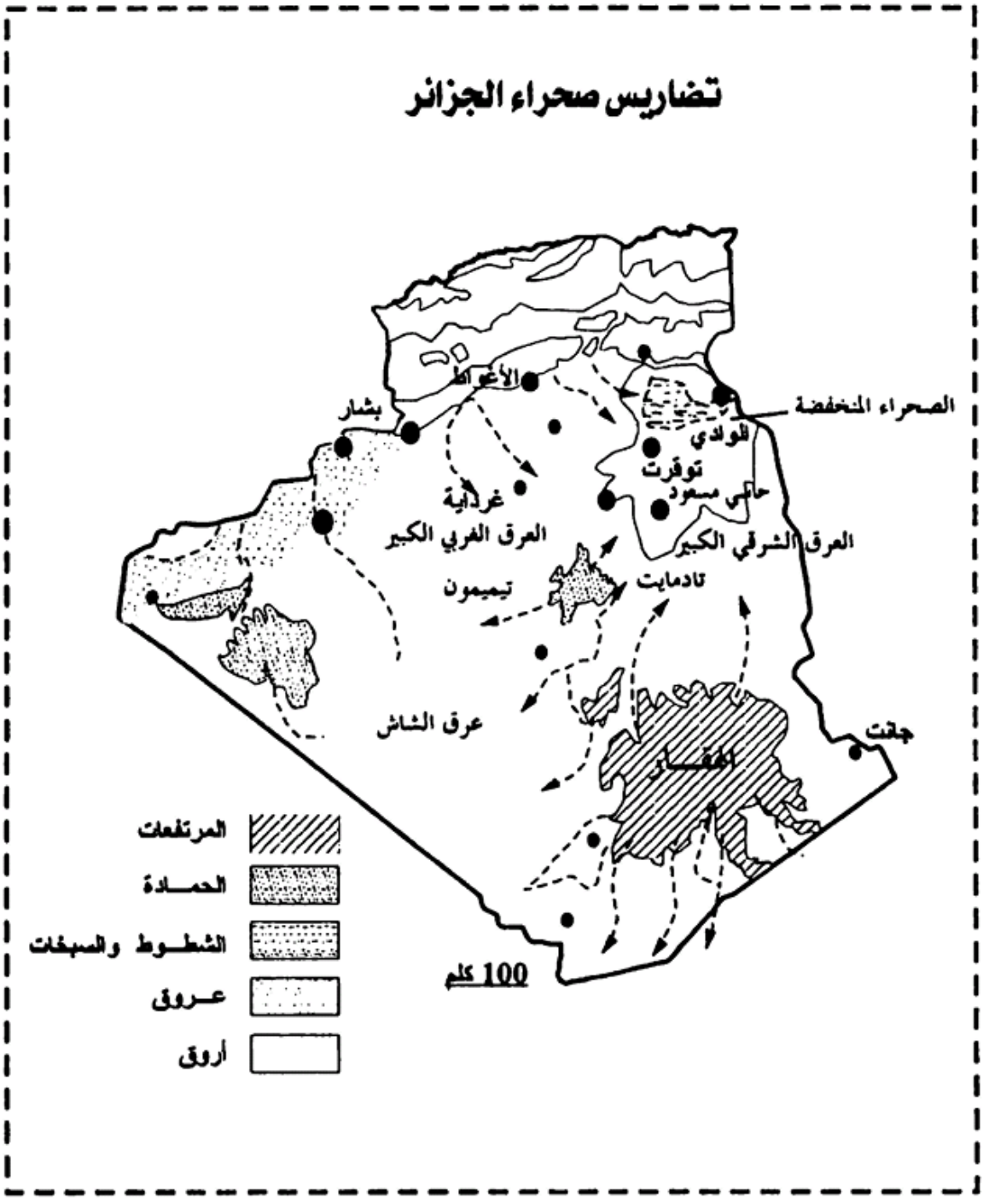

أحميدة عميراوي واخرون، المرجع السابق، ص153.

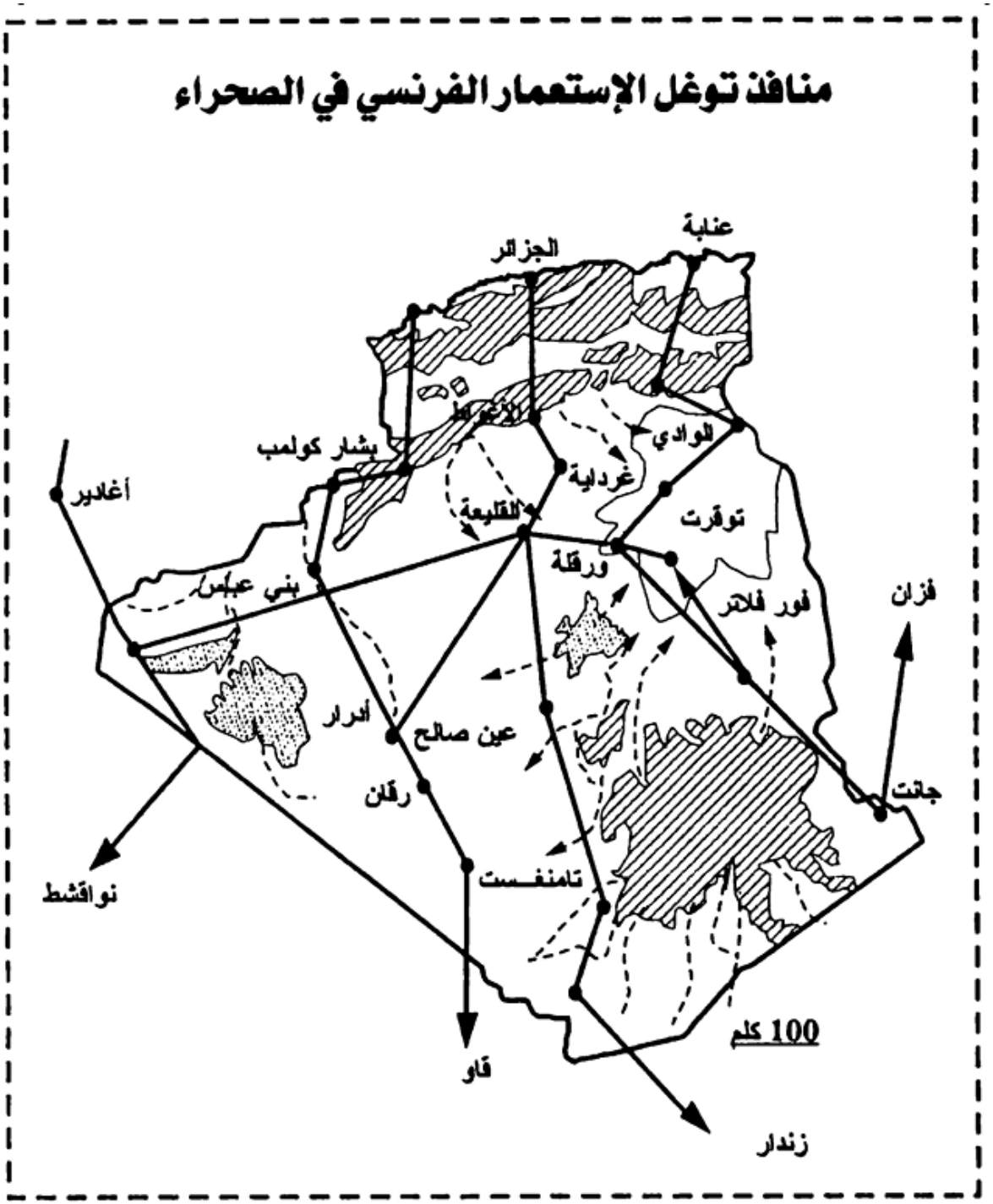

أحميدة عميراوي واخرون ، المرجع السابق،ص157.

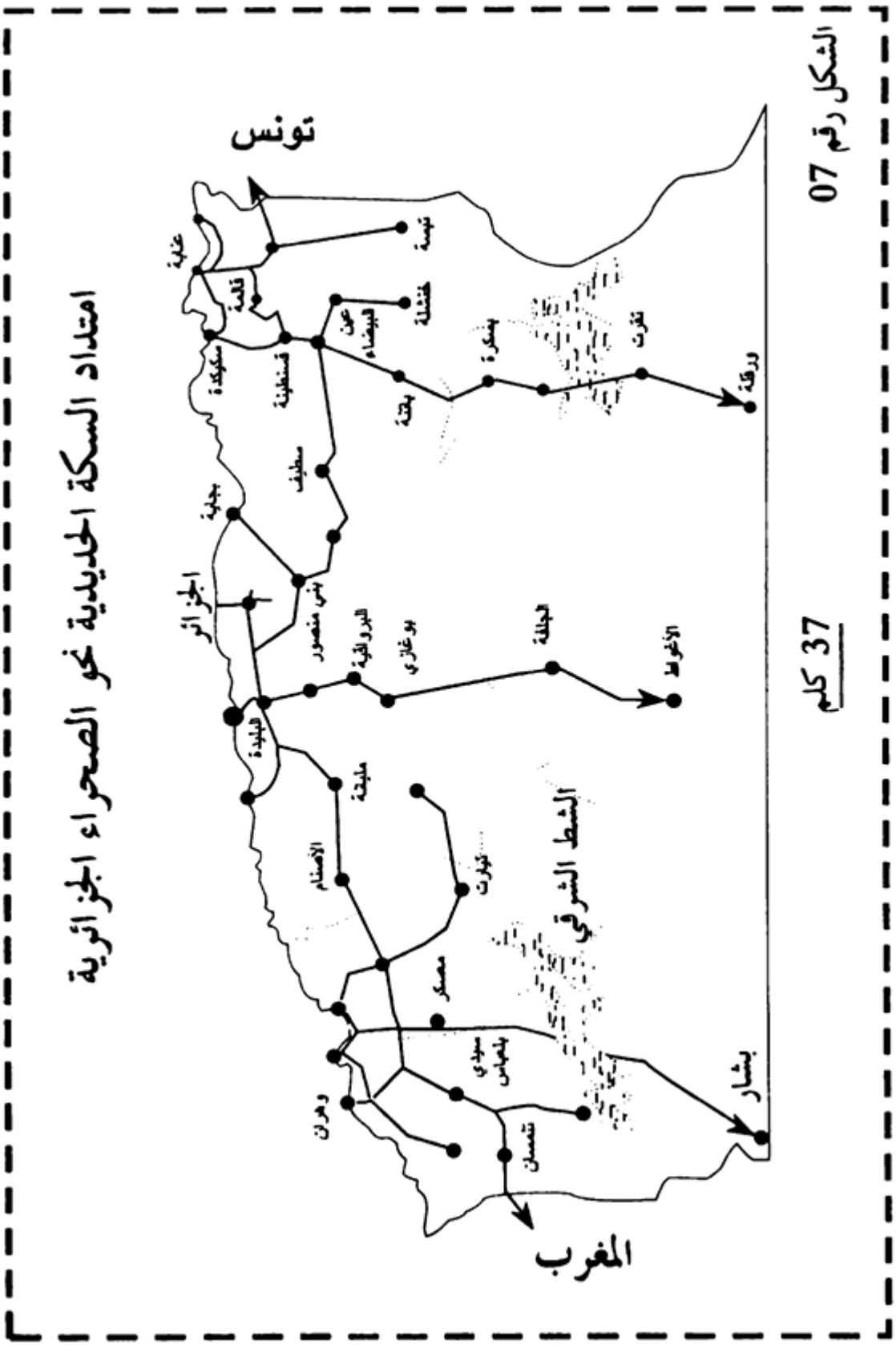

احميدة عميراوي واخرون، المرجع السابق ص 158.

خريطة مشروع البحر الداخلي الصحرواي[1]

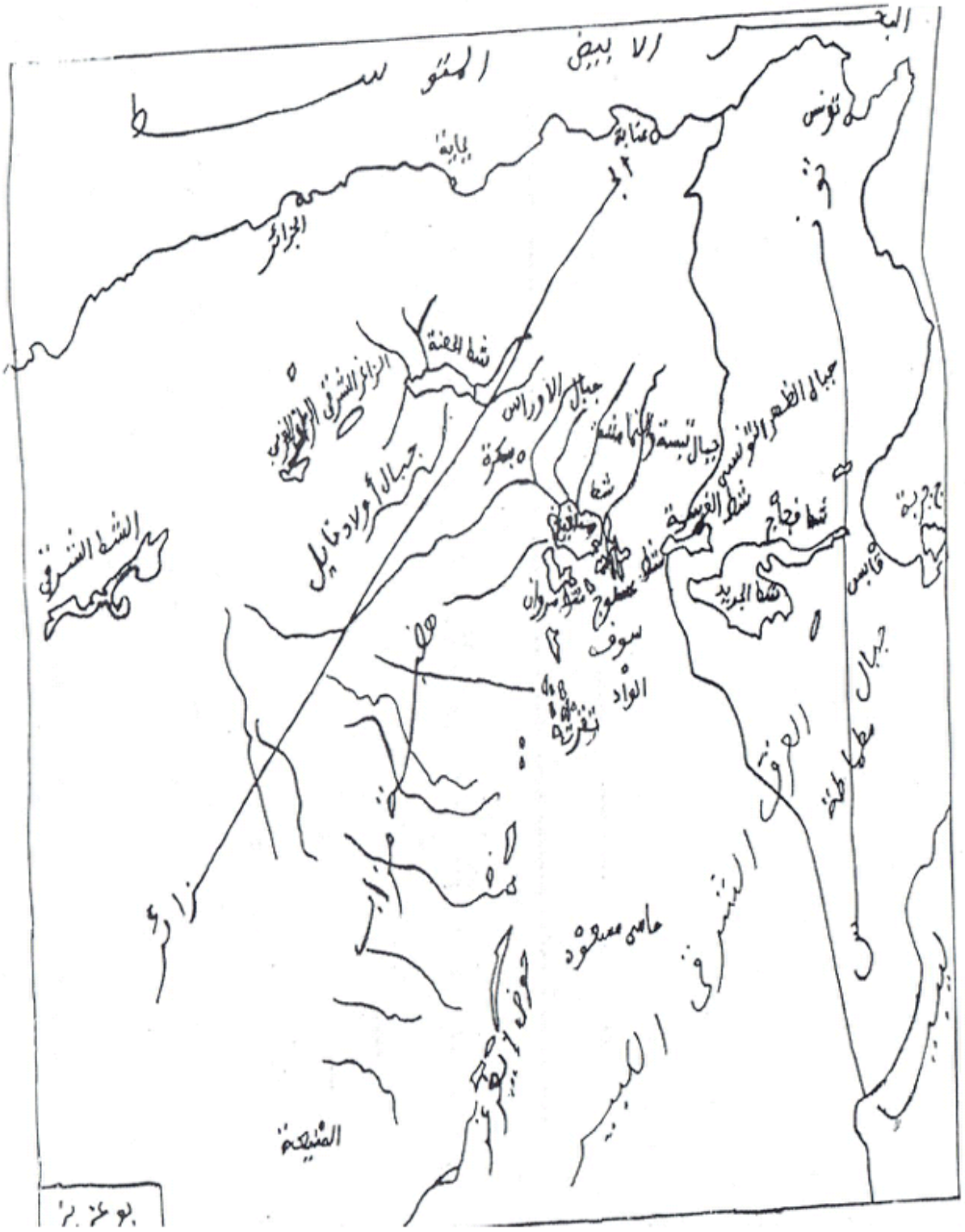

يحي بوعزيز، الامير عبد القادر....، المرجع السابق، ص 101.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

أ- العربية:

1. الوزان محمد الحسن، **وصف إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

2. ترومللي، الفرنسيون في الصحراء، **يوميات في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: محمد المعراجي، غرناطة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

3. جاكوفيلكس، **حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية خلال شهر أفريل وماي 1847**، تر: حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر

4. كلابرتون دنهام، أوديني، **رحلة لاستكشاف إفريقيا**، ج2، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003.

ب- الأجنبية:

1- Henri Duveyrier, **prenierrzport sur la missio des chots du sahara de constantin** , paris , 1875.

2- léscaptoration d'un Globe, **jornal des conquétes, de la à civration sur tous des pointe**, paris, N=19 p p 825- 826.

3- L'afriqus explorée et civrlisé*e, jornal mensuel, N=5, pp 81- 82.

4- Bullentin de la societé de Géograplue commercial de pars (1882-1883), pp 342- 343

5- Dominique casajus, **Henri Duveyrier d'un voyage dans la provrinced'alger, OAI**, paris, 2006, p 1.

2- المراجع:

1- العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب**، الجزائر، 1983.

2- العربي إسماعيل، **تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

3- القشاط محمد السعيد، **صحراء العرب الكبرى**، دار الرائد للطباعة و النشر ليبيا، 1994.

4- العسلي بسام، **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية**، دار النفائس، لبنان، 1984.

5- العسلي بسام، **الله أكبر و انطلقت ثورة الجزائر**، ط2، دار النفائس، لبنان 1986.

6- المدني أحمد توفيق، **هذه الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1956.

7- المدني أحمد توفيق، **جغرافية القطر الجزائري**، دار الناشئة الإسلامية، الجزائر، 1948.

8- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ط2، الأبيار، الجزائر، 2009.

9- العلوي محمد الطيب،**مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830 حتى ثورة أول نوفمبر1954م**، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، 1985.

10- الصلابي محمد علي، **الأمير عبد القادر**، (د دن)، (د م)، (د س).

11- الصلابي محمد علي، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي**، دار المعرفة، لبنان، (د س).

12- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2008.

13- بوحوش عمار،**التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962**، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1997.

14- بوعزيز يحي، **الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا و آسيا وجزر المحيطات**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

15- بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين**، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

16- بوعزيز يحي، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004.

17- بوعزيز يحي، **تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من المطلع السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2001.

18- بوعزيز يحي، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

19- بلاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1989م)**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

20- بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)**، دار حلب، الجزائر، 2013.

21- جودة حسين جودة، **دراسات في جغرافيا الطبيعية للصحاري العربية**، بيروت، 1980.

22- حلوش عبد القادر، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 1999.

23- دروازالهادي،**الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954- 1962م)**، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.

24-زوزو عبد الحميد، **ثورة بوعمامة [1881- 1908م]**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

24- زوزو عبد الحميد، **محطات في تاريخ الجزائر**، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2011.

25- سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي [1830- 1954م]**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

26- سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1962م**، دار الشروق للطباعة و النشر، الجزائر، 2009.

27- سعيدوني ناصر الدين، **الجزائر منطلقات و آفاق**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

28- عمورة عمار، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002.

29- عوض صالح، **معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر**، الزيتونة للإعلام و النشر، الجزائر، 1989.

30- عميراوي أحميدة، **أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري**، المركز الوطني للدراسات و الأبحاث، الجزائر، 2007.

31- عميراوي أحميدة و آخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916)**، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2004.

32- عميراوي أحميدة، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، 2005.

33- عبد الرزاق الجوهري يسرى، **الكشوفات الجغرافية، دراسة لتاريخ الكشوفات الجغرافية و تطور الفكر الجغرافي**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، لبنان، 1984.

34- علالي محمد،**الحركة الاصلاحية في الأغواط [1916- 1958م]**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.

35- عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي و الكشوفات الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، (د م)، 2007.

36- عراب عبد الفتاح إسماعيل، **العمل التنصيري في العالم العربي**، مكتبة البدر للنشر و التوزيع، القاهرة، 2007.

37- قليل عمار، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج1، دار العثمانية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

38- قنان جمال، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

39- فركوس صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2002.

40- فركوس صالح، **الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية في العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (14ق م- 1962م)**، مطبعة المعارف، 2015.

41- مياسي إبراهيم، **توسيع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري [1881- 1912م]**،منشور المتحف الوطني للمجاهد، (د م)، (د س).

42- مياسي إبراهيم،**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية [1837- 1934م]**، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2009.

43- مياسي إبراهيم، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010.

44- مياسي إبراهيم، **مقاربات في تاريخ الجزائر [1830- 1962م]**، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.

45- منور العربي، **تاريخ المقاومة الجزائرية**، دار المعرفة للنشر و التوزيع، (د م)، 2006.

46- مناصرية يوسف، **مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب 1832-1847م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

47- مقلاتي عبد الله، **المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية (1830- 1962م)**، منشورات سيدي نابلي، الجزائر، 2013.

48- نجاح عبد الحميد، **منطقة ورقلة و تقرتمن مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**، منشورات جمعية الوفاء، تقرت، 2006.

49- هلال عمار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د س).

50- لعروق محمد الهادي، **أطلس الجزائر و العالم**، دار الهدى، الجزائر، 1998.

الرسائل الجامعية:

1. بوذراع إيمان، **أثار سكة الحديد الفرنسية في استعمار المناطق الداخلية [1857-1914م]**، أطروحة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2017- 2018.

2. بوشاقور بشرى، **إستراتجيةالاستعمار الفرنسي في فصل الصحراء عن الشمال وردود الفعل الوطنية و المغاربية**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018- 2019.

3. بوصوار مليكة، **التجارب النووية الفرنسية في الجزائر**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2016-2017م.

4. بن سعدة محمد،العربي توفيق ، **موقف الولاية السادسة من المشاريع الفرنسية**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي،الأغواط، 2018- 2019.

5. بلعبدي فايزة، بوتدارة خديجة، **ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني 1864- 1881**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعةأحمددراية،أدرار، 2018- 2019.

6. بن صوشة فوزية، **المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف،المسيلة، 2015- 2016.

7. بن علو سارة، زهيرة كيدي، **السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية (197- 1962)**،مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجيلالي

8. بونعامة، خميس مليانة،2016- 2017.

9. حوحو رضا، **شبكة الطرقات الفرنسية في الجزائر القرن 19**، رسالة الدكتوراه، ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة قسنطينة2، قسنطينة،2017- 2018.

10. حوحو رضا، **شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر و أثرها في تدعيم سلطة الاستعمار (1830- 1914م)**، مذكرة الماجيستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الشرعية، جامعة منتوري،قسنطينة، 2004- 2005.

11. دبوسي مريم، **التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية [1960- 1966م]**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة،2013- 2014.

12. دواس أحسن، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين**، مذكرة ماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة قسنطينة، قسنطينة،2008- 2009.

13. زريبي حسيبة، **أثر الموانئ الجزائرية في لاقتصادالكولونيالي [1830-1914]**، مذكرة الماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، محمد خضير، بسكرة، 2014- 2015.

14. زواوي حليمة، خالد أوعيل،ليلبوعكاز، **إستراتجيةالاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2014- 2015.

15. ضيف الله شلالي، **دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر**، الجلفة نموذجا [157- 1962م]، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011- 2012.

16. عريق صفاء، **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة الجزائرية، [1954- 1962م]**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي،بسكرة، 2018- 2019.

17. عيد مصطفى، **الجزائر في كتابات توماس أوريان**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008- 2009.

18. -محمدي أم كلثوم، **السياسة الفرنسية إزاء الصحراء الجزائرية [1954-1962]**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة مولاي الطاهر،سعيدة، 2016- 2017.

19. هقاري محمد، **التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان المنطقة مابين [1850- 1916م]**، رسالة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2015- 2016.

المجلات:

أ- باللغة العربية:

1- **لافيجري و التنصير في الجزائر**، مجلة آفاق علمية، ع2، الجزائر، 2019.

2- اهتمامات الفرنسيين بالتوارق و منطقة الهقار، مجلة الأصالة، العدد 72، جامعة تمنراست، 1979.

3- الأمير **عبد القادر ومشروع قناة قابس و البحر الإفريقي**، مجلة الأصالة، ع 25، منشورات وزارة الأوقاف الدينية الجزائرية، ماي- جوان 1975.

4- **مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849**، مجلة العصور الجديدة، ع 1، الجزائر، 2018.

5-**الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع و العراقيل**، مجلة العلوم الانسانية، ع20، 20 ديسمبر 2003.

6-**ثورة الشريف بن محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي [1840- 1895م]**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع 1، الوادي ،جوان 2010.

7- **دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي**، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 11، الجزائر، جوان 2013.

8- **الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، مجلة كان التاريخية**، ع 11، مارس 2012.

9-**واقع التربية و العلم في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي**، مجلة آفاق الثقافة و التراث، ع 50، جويلية 2005

10-مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء 1881-1916م، ع2016،2.

11-**التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود الفعل سكان الهقار 1919**، مجلة المصادر، ع 11.

12-**التعليم و الثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية**، مجلة الثقافة، العدد 85، ماي، جوان 1985.

13-**دور سكان منطقة آزجر و الهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الثانية**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع 24، جوان 2016.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Ben DjedouHocine, René , comité Francaise d'his taire de la Géologie, 1999 séance, 17 mars.

5- الملتقيات و المداخلات:

الملتقيات:

1. سلسلة الملتقيات التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
2. نخبة من الباحثين و المؤرخين، بسكرة بعيون الرحالة الفرنسيين، محاضرات ومداخلات الملتقى الوطني الثالث عشر، إصدارات الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2018.

- المداخلات:

1. الامام بريك، مداخلة التنافس الاستعماري الأوروبي على افريقيا و انعكاساته على التواصل الحضاري بين الجزائر ودول الساحل الافريقي، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر.
2. محفوظ رموم، الاحتلال الفرنسي للأقصى الجنوب الغربي الجزائري و المجابهة العسكرية و الثقافية، جامعة الجزائر.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان:	الصفحة
شكر و اهداءات	–
قائمة المختصرات	–
مقدمة:	أ–و
مدخل: لمحة عن جغرافية الصحراء الجزائرية.	–
الفصل1: الحركة الاستكشافية في الصحراء و بداية التوسع.	–
المبحث الأول: الاهتمام الأوروبي بالصحراء قبل القرن 19.	**18**
المبحث الثاني:الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و دوافعه.	**23**
المبحث الثالث: التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء وأهم المعارك.	**33**
الفصل الثاني: المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء.	
المبحث الأول: نماذج من المشاريع ذات البعد الديني.	**47**
المبحث الثاني: نماذج من المشاريع ذات البعد الثقافي.	**57**
المبحث الثالث: نماذج من المشاريع ذات البعد الاقتصادي.	**61**
الفصل الثالث:مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م، الأهداف و الأبعاد.	–
المبحث الأول:دوافع المشروع.	**69**
المبحث الثاني:تجسيد المشروع و أهدافه.	**72**
المبحث الثالث:ردود الفعل الوطنية و الفرنسية من المشروع.	**76**

خاتمة.	80
الملاحق.	–
قائمة المصادر و المراجع.	–
فهرس الموضوعات	–

ملخص:

يندرج هذا الموضوع المعنون بالمشاريع الإصلاحية الفرنسية في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م مشروع البحر الصحراوي الداخلي نموذجا في اطار ابراز أهم المشاريع و المخططات الفرنسية التي قامت بتجسيدها فرنسا في الجنوب الجزائري وذلك بعد قيامها بمجموعة من الإستكشافات التي أفضت في النهاية إلى التوغل والتوسع على أراضيها، وكان رد الشعب الجزائري بقيامها بمقاومات شعبية رافضة لتواجد الإحتلال الفرنسي لكنها بائت بالفشل، وقد قامت فرنسا باستحداث مشاريع عدة من بينها دينة وثقافية واقتصادية وذلك بهدف ترسيخ وجودها واستغلال ثرواتها والإحتفاظ بهذه المنطقة.

ومن أبرز المشاريع التي حاولت تجسيدها فكرة المشروع البحر الصحرواي بهدف تغيير مناخ الصحراء إلا أنه بقي حبر على ورق.

Résumé:

Ce thème intitulé Projets de réforme français dans le désert algérien dans la seconde moitié du XIXe siècle après JC Le projet de la mer du désert intérieur est un modèle dans le cadre de la mise en évidence des projets et plans français les plus importants que la France a incarnés dans le sud de l'Algérie, après avoir mené une série d'explorations qui ont finalement conduit à l'incursion et à l'expansion sur Ses terres, et la réponse du peuple algérien, a consisté à entreprendre une résistance populaire, rejetant la présence de l'occupation française, mais elle a échoué. La France a lancé plusieurs projets, notamment religieux, culturels et économiques, dans le but de consolider sa présence et d'exploiter ses richesses et de préserver cette région.

L'un des projets les plus importants que j'ai essayé d'incarner était l'idée de la mer du désert dans le but de changer le climat du désert, mais il est resté de l'encre sur papier.

Substract :

This topic entitled French reform projects in the Algerian desert in the second half of the nineteenth century AD The inner desert sea project is a model within the framework of highlighting the most important French projects and plans that France embodied in southern Algeria, after carrying out a series of explorations that ultimately led to the incursion and expansion on Its lands, and the Algerian people's response was by undertaking popular resistance, rejecting the presence of the French occupation, but it failed. France has introduced several projects, including religious, cultural and economic projects, with the aim of consolidating its presence and exploiting its wealth and preserving this region.

One of the most prominent projects that I tried to embody was the idea of the desert sea with the aim of changing the desert climate, but it remained ink on paper.